السنة ٧٧ العدد الأول والثاني يناير وفبراير ٢٠٢٣م طوبة وأمشير ١٧٣٩ش

مجلة

مدارس الأحد

الافتتاحية: زمن الحب		١
فى عيد الميلاد نتقابل مع مواقف كثيرة...	قداسة البابا تواضروس الثاني	٤
نياحة المحبوب أنبا داود أسقف المنصورة	أبونا أثناسيوس جورج	٦
إلى كل من يحمل أحشاء رأفة (٢)	نادية منير	٩
دور المرأة في تاريخ الخلاص وحياة الكنيسة (٤)	د. جميل نجيب	١١
تقييم النجاح	د. جرجس بشرى	١٥
البابا ثاؤفيلس بين السلطة والعقيدة: ٢- مجمع السنديانة (٤٠٣) جـ٢	د. أمجد شوقي	١٦
المخلّص		٢٠
متعة العبادة الطقسية (٣)	د. مجدي فرج	٢١
القديس ديونسيوس السكندري البطريرك الرابع عشر...	إعداد: ماجد كامل	٢٤
التجربة على الجبل	الأب أنتونى م. كونيارس	٢٧
العصر الجديد		٣٢
الأقباط والصحافة	د. رامي عطا صديق	٣٣
إعداد طريق الملكوت	إيبوذياكون جرجس ميخائيل	٣٨
الصدر الرحب		٤٠
رفعوا حجارة ليرجموه	إيبوذياكون جرجس ميخائيل	٤١
فى طريق بيت لحم	بشارة طرابلسى	٤٣
نتائج التمرغ في الوحل		٤٥
الأرشيدياكون عياد نجيب	إعداد إسحاق إبراهيم الباجوشى	٤٦
كنيسة السيدة العذراء الشهيرة بالمعلّقة		ب خ

مجلة مدارس الأحد

يصدرها: بيت مدارس الأحد القبطى

إدارة المجلة :٧٠ شارع روض الفرج – القاهرة تليفون : ٢٢٠٢٩٧٤٤

ص. ب : ١٧ حدائق شبرا – مصر فاكس: ٢٤٣٢٢٧٢١

الاشتراك السنوى مائة وخمسون جنيها وفى الخارج ما يعادل ٥٠ دولار أمريكى

رئيس التحرير : د. عادل شكرى صادق، **نائب رئيس التحرير**: د. سينوت دلوار شنودة

أسرة التحرير: د. جميل نجيب، د. أمجد شوقي، أ. نادية منير، د. جرجس بشرى

أ. إسحاق الباجوشي

مدير المجلة: صبرى غالى حنا

ترسل جميع المكاتبات بعنوان صندوق بريد المجلة، **الاشتراكات**

تسدد **بالحساب الفضي** رقم ١٣٦٧٥٢ على مكتب بريد حدائق شبرا

باسم الأستاذ صبري غالي حنا

★ عند إرسال أية مبالغ بالحساب الفضي برجاء الاتصال بنا حتى يتم تسديدها بالحسابات

مطبعة مدارس الأحد البريد الالكترونى: E-MAIL: sundaymag@hotmail.com

مجلة مدارس الأحد

السنة	يناير وفبراير ٢٠٢٣م	العدد
السابعة والسبعون	طوبة وأمشير ١٧٣٩ش	الأول والثاني

بدأ الصوم الكبير أو الصوم الأربعينى أو كما يحلو أن نسميه صوم الرب يسوع فهو الصوم الذي صامه الرب نفسه رغم عدم احتياجه، والصوم الكبير وما يعقبه من أسبوع الآلام والأمجاد هو من أقدس أيام السنة ولكن هل توجد أيام أقدس من أيام!! فكل أيامنا مقدسة فى الرب يسوع ولكن مجازًا نقول هكذا لأنها موسم التوبة ولكن مرة أخرى هل للتوبة مواسم!! فالتوبة حياة نعيشها ونتمتع بها كل أيام مسيرة عمرنا فالتوبة والصوم هو :

زمــن الحــب

فالرب يسوع مر بنا ورآنا فى توبتنا ومذلتنا ومسكنتنا، وأن هو زمنا زمن الحب فبسط علينا نعمته وستر عوراتنا ومحا خطايانا وطرحها فى بحر النسيان، ودخل معنا فى شركة وعهد أن نصير له كما يقول الوحي الإلهي على فم حزقيال النبى "فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب فبسطت ذيلى عليك وسترت عورتك وحلفت لكِ ودخلت معك فى عهد فصرت لى" (حز ١٦: ٨).

وفى الصوم أو زمن الحب نعاين مجد الله، فالصوم ليس هو مجرد الامتناع عن الأكل فترة محددة أو غير محددة، وليس هو مجرد تناول الأطعمة النباتية، وليس هو الابتعاد عن الخطية والتوبة عنها، كما أنه ليس مجرد المزيد من التقرب إلى الله وزيادة جرعات الصلاة، ولكن الصوم أعمق بكثير من كل هذا، فنحن نصوم لكى نعاين مجد الله ونراه فى زمن الحب، فعلى جبل التجلى لم نرَ من بين كل رجال ونساء العهد القديم المشهود لهم سوى موسى وإيليا، وليس مصادفة أنهما – موسى وإيليا – هما الوحيدان الذى ذكر عنهما الكتاب المقدس أنهما صاما أربعين يومًا، فموسى صام أربعين يومًا ورأى الله واستلم منه لوحى العهد أو

الشريعة (خر ٢٤: ٨)، وبالمثل أكل إيليا أكلة واحدة وسار بقوتها أربعين يومًا صائمًا حتى عاين الله فى جبل حوريب (١مل :١٩: ٨)، وهكذا كانا هما الاثنين الذين صاما فعاينا مجد الرب الرائع من فوق جبل التجلى (مت ١٧: ١ -٥، مر ٩: ٢ – ٧، لو ٩: ٢٩ – ٣٥).

وفى الصوم زمن الحب نتوق أن نرى الله ونشتاق أن نعاين مجده كما قال موسى النبى "أرنى مجدك" (خر ٣٣: ١٨)، ونرى مجد الله فى ذاته، وفى أنفسنا، وفى الآخرين.

❖ **نرى مجد الله في ذاته** فهو الذي أحبنا أولًا قبل أن نعرفه ونحبه، بل أحبنا ونحن لم نزل بعد أعداء كما يقول معلمنا بولس الرسول: "ونحن أعداء صولحنا مع الله بموت ابنه" (رو ٥: ١٠)، وقبيل إتمام عمل خلاصنا الذي تجسَّد الرب يسوع من أجله، صام عنا أربعين يومًا وجُرِّب من إبليس فى نهايتها حتى عندما يتألم ويصلب ويقوم من بين الأموات منتصرًا نكون نحن به مستحقين أن نعاين مجد الله الآب، كما يتضح من صلاته الوداعية ليلة تسليم جسده للصلب (يو ١٧: ١- ٢٦). وفى زمن الحب نرى الله الذي يقول لنا إننى أحبكم ولن أترككم حتى أدخلكم إلى حضن الآب، وعندما ندخل ونتمتع بالأحضان الإلهية: نقول له معك لا نريد على الأرض شيئًا ففيه كل الكفاية:

- ✞ فإذا احتجنا الطعام: فهو خبز الحياة النازل من فوق.
- ✞ وإذا عطشنا: فهو ينبوع الحياة الذي ينادى العطاش ليشربوا.
- ✞ وإذا احتجنا اللباس: فقد لبسنا المسيح.
- ✞ وإذا أردنا الذهاب: فهو الطريق والحق والحياة.
- ✞ وإذا احتجنا المال: فهو لنا كنز فى أوان خزفية.
- ✞ وفى أتعابنا وآلامنا: ننظر إلى الصليب الذي به تكثر تعزيتنا.
- ✞ وفى إحساسنا بالظلم: نعاين ذاك الذي وهو الإله القدير بِيعَ من تلميذه بثمن عبد حقير.
- ✞ وحتى فى الموت: هو يسير معنا حتى إلى وادي ظل الموت.

❖ **ونرى مجد الله فى أنفسنا** حيث نحتاج فى زمن الحب أن ندخل إلى أعماق نفوسنا ونهدأ لنرى الله داخلنا، فالإنسان مثل بركة مياه كلما تلقى فيها حجرًا تزداد عكارة، وكلما تهدأ تصفو، والمشكلة أننا دومًا ننشغل بأمور كثيرة ربما يكون بعضها بسبب أمور تبدو مقدسة مثل الخدمة وترتيبها ومشاغلها ولكننا نحتاج بالأولى أن نهدأ، فتصفو نفوسنا ونتقابل مع الله الذى هو داخل نفوسنا حيث أن ملكوت الله داخلنا (لو ١٧: ٢١)، وكما يقول القديس كليمنضس الأسكندرى "اِعرف نفسك تعرف إلهك، اِعرف إلهك تصير أيقونة لهذا الإله"، ونحن دومًا وخاصة فى أيام الصوم نحتاج إلى فترات من الهدوء والخلوة حتى ما نصل إلى

أعماق نفوسنا، وقد يكون أنسب وقت للخلوة هو الصباح الباكر أو الليل المتأخر حيث الهدوء، ولكن يمكننا الاختلاء بالله حتى فى وسط النهار ووسط المشاغل، وبالتدريب يمكننا أن نختلى وسط الضوضاء أيضًا، وفى فترات الخلوة وبعدها تظهر فى نفوسنا سمات الرب يسوع التى نحملها داخلنا كما يقول معلمنا بولس الرسول: "لأنى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع" (غل ٦: ١٧).

❖ وأخيرًا **نرى مجد الله فى الآخرين** أيضًا، ففى زمن الحب نرى الله وعمله فى الجميع وتشتاق نفوسنا إلى خلاص كل إنسان، لا تقف نفوسنا عند حدود أسرنا أو كنائسنا أو مدننا أو بلادنا بل تمتد فى عمل مسكونى شامل تود أن ترى الرب يسوع ساكنًا فى كل إنسان بل تمتد أيضًا إلى غير المؤمنين فى كل أنحاء العالم وتشتهى خلاصهم فقد مات الرب يسوع عن كل إنسان فى كل مكان وفى كل زمان، وتكون أشواق قلوبنا فى أوقات صومنا أن نعاين مجد الله فى الآخرين أيضًا.

وكما يقول المتنيح القمص بيشوى كامل: "أن زمن الحب هو حركة كلها ديناميكية نحو الرب لا تعرف السكون أبدًا، والشرارة الأولى فى هذه الحركة هى التوبة التى تشعل فى قلوبنا نار الحب الإلهى حيث يبدأ زمن الحب"، لذلك رتبت الكنيسة بإرشاد الروح القدس سلسلة من قصص التوبة والتائبين مثل الابن الضال، والسامرية، والمفلوج، والمولود أعمى، تكون عناوين لأناجيل آحاد الصوم المقدس، الرب يعطينا أن نعاين مجده فى هذا الصوم المقدس.

أجمل التهاني وأطيب الأمنيات بمناسبة
عيد الميلاد المجيد ورأس السنة الميلادية
ترفعها أسرة تحرير المجلة وكافة قرائها إلي
قداسة البابا المعظم
الأنبا تواضروس الثاني
وإلي كافة آبائنا المطارنة والأساقفة والكهنة وإلي إخوتنا الشمامسة وأفراد الشعب القبطي جميعاً راجين من الرب أن يعيد هذه الأيام المباركة والكنيسة متمتعة دائماً بالسلام والفرح الروحي .... وكل عام وأنتم بخير.

فى عيد الميلاد نتقابل مع مواقف كثيرة

قداسة البابا تواضروس الثاني

أهنئكم جميعًا بعيد الميلاد المجيد وبداية عام جديد ٢٠٢٣م، وأود أن أرسل كل التهنئة من أرض مصر إلى كل الإيبارشيات والكنائس القبطية الموجودة فى كل المسكونة فى أفريقيا وآسيا وأوربا وأستراليا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية.

أود أن أهنئكم جميعًا باسم المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وباسم كل الأقباط الذين فى مصر، نهئ الجميع بعيد الميلاد المجيد بحسب التقويم الشرقى، وبحسب السنة القبطية سنة الشهداء والذى نحتفل به يوم ٢٩ كيهك من كل عام.

فى عيد الميلاد نتقابل مع مواقف كثيرة، ولكن من أشهر المواقف الموجودة فى هذا العيد أننا ننادى بحسب النبوة أن بيت لحم ليست الصغرى فى يهوذا ميخا (٢:٥)، بيت لحم قرية صغيرة مغمورة غير معروفة بالمرة، ولكنها صارت أشهر قرية فى العالم، وصارت تفتخر بميلاد السيد المسيح على أرضها، وفى هذا المزود الصغير، وكلمة "الصغرى" تلفت نظرنا إلى الأشياء الصغيرة فى قصة الميلاد.

أولًا: إننا نتقابل مع النجم، والنجم كما نعلم إنه فى السماء يبدو صغيرًا جدًا بحسب رؤيتنا على الأرض. ولكن نجم الميلاد كان له أكثر من صفة أنه يتحرك ثم يتوقف عندما يتوقف المجوس للراحة فى أثناء رحلتهم الطويلة.

كان النجم مرشدًا وهاديًا للمجوس الذين أتوا من بلاد المشرق لكى ما يقدموا هداياهم: الذهب واللبان والمر. لكن ما يهمنا فى هذا الأمر وجود النجم الذى يرفع نظرنا إلى السماء، إنه يشير إلى الحياة السماوية كأن قصة الميلاد تبدو بهذا النجم وهى ترسل رسالة نحو الذين على الأرض أن تكون حياتهم سماوية، والحياة السماوية حياة مضيئة، ونحتاجها على الأرض كثيرًا. فالأرض تمتلئ بالخطية والشر والمفاسد الكثيرة.

عندما يرتفع الإنسان إلى فوق مُحلِّقًا كالنجم يصير منيرًا. هذه هى الحياة السماوية.

القديس يوحنا ذهبى الفم له عبارة رائعة يقول: إن تكون شمسًا أو قمرًا أو حتى نجمًا، المهم أن تكون فى السماء "فالشمس ترمز للإنسان المشهور جدًا، والقمر للأقل شهرة، والنجم للإنسان المغمور مثل: نجم الميلاد أو مثل قرية بيت لحم. المهم أن يعيش الإنسان حياته فى السماء".

الأمر الثانى: والذى نراه فى مواقف الميلاد ومشاهد الميلاد حسب التقليد القديم هو شجرة الميلاد، شجرة الميلاد شجرة دائمة الخضرة تذكرنا بالمزمور الأول الذى نصليه كفاتحة للمزامير عندما نقول عن الإنسان الذى يسير فى طريق الله إنه يكون كالشجرة المغروسة على مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى حينه وورقها لا يندثر وكل ما يصنعه ينجح" (مزمور١:٣)، الشجرة ترسل لنا رسالة أن تكون حياتك مثمرة؛ حياتك طول العام مثمرة بالفضيلة ومثمرة بالسيرة الحسنة، أو مثمرة بالعلاقات الطيبة نحو كل إنسان، وأيضًا شجرة الميلاد شجرة ثابتة فى الأرض تعلِّمنا الثبات والنمو. كما أنها دائمًا ترمز إلى السماء فهى ترنو إلى السماء من عام إلى عام، وعندما تنمو ترفع رقبتها وقلبها إلى السماء.

الأمر الثالث: فى رسائل الميلاد العديدة نتقابل مع قرية بيت لحم. عندما ذهب القديس يوسف النجار مع أمنا القديسة مريم ولم يجدا مكانًا فى بيت لحم بسبب الإحصاء والتعداد الذى كان موجودًا فى ذلك الوقت، نرى أن بيت لحم كلها كانت مزدحمة، ليس فيها مكان، ولكن صاحب البيت أشار عليهما بوجود المزود. لم نكن نعلم أن المزود يمكن أن يكون مكان للضيافة. فهو للحيوانات فقط، ولكن أشار عليهما بوجود المزود، وتجنب أن يقول لهما ليس عندى مكان هنا. ظهرت صورة الإنسان الخادم أو الحياة الخادمة.

الحياة الخادمة التى تخدم الآخرين يجب أن تتجنب أن تقول: ليس عندى، أو لا يوجد، أو كلمة لا، هو أوجد هذا المزود، ونحن نطلق عليه مزود، ولكنه حظيرة للحيوانات للثور وللحمار، ولبعض الحيوانات الأخرى. وهذا المزود صار مكانًا دافئًا منيرًا لامعًا مشهورًا فى العالم كله. وصارت هناك خدمة قدَّمها صاحب البيت ولا نعرف اسمه ولكنه قدمها بمحبة وحل مشكلة الخادم هو الذى يستطيع أن يحل مشكلة ويتجنب دائمًا أن يرفض طلبًا لخدمة الآخرين أو مساعدة الآخرين ولذلك صارت بيت لحم ليست الصغرى فى يهوذا ، أنها صارت مشهورة فى العالم كله.

هذه هى رسائل الميلاد: النجم يرمز إلى الحياة السماوية، والشجرة ترمز الى الحياة المثمرة، والمزود يرمز إلى الحياة الخادمة. هذه الرسائل أود أن أقدِّمها الى الجميع فى كل كنيسة وفى كل إيبارشية، ولكل الآباء الأساقفة والآباء المطارنة والآباء الكهنة ومجالس الكنائس والشمامسة، ولكل الشعب ومنهم الشباب والأطفال فى كل كنيسة وفى كل مكان يتواجد فيه الأقباط وهم يحتفلون بعيد الميلاد فى هذا اليوم.

تحياتى ومحبتى لكم جميعًا من أرض مصر، من أرض القديس مارمرقس كاروز بلادنا العزيزة، أهنئكم جميعًا وأرجو لكم كل خير فى العام الجديد.

نياحة المحبوب أنبا داود أسقف المنصورة

القمص أثناسيوس فهمي جورج

سافر فجر اليوم إلى المجد أنبا داود أسقف كرسي المنصورة، الذي ولد في٢٥ / ١ / ١٩٥٧م، كان بذرة صغيرة في كرم الرب ثم نضجت وصارت شجرة وارفة لتكون بداية لنهاية طوباوية وسعيدة، أتقن فيها الفضيلة وعاش نذورها بكل غيرة واحتراس وبساطة قلب.

كان أيهاب نظير خليل منذ الصغر إناءً مختارًا ، ونصيبًا للرب، اتكأ على صدره وأكل خبز ملائكته، وارتوى بمعرفة تنقية الذهن. تربى في كنيسة "العذراء" الوجوه بشبرا وخدم في فصول التربية الكنسية، والتحق بهندسة الفنون الجميلة قسم عمارة، وكان موهوبًا ومبدعًا وخادمًا مميزًا في الأسر الجامعية وأنشطة أسقفية الشباب. لكنه منذ أن أكمل دراسته الجامعية فضَّل سكنى البرية واختار نذور التكريس الرهباني، عاشقًا لدير بولا أول السواح، دائم التردد عليه وعلى دير العذراء الشهير بالآبهات البراموس، وعلى خدمة أبنية وأنشطة أسقفية الشباب في منطقة أبو تلات بالثمانينات - غرب الإسكندرية.

لكنه عندما اتخذ قرار الخروج من العالم كان متجه ناحية البرية الشرقية في البحر الأحمر، إلَّا أن أنبا موسى أسقف الشباب دفع به إلى دير البراموس ، فترهب هناك ببرية شهيت في ٣ / ٧ / ١٩٨٩م. واستغرقت رحلة جهاده، حياته كلها بأكملها. صان عقله متحدًا بالله كل حين، مسترشدًا بشيوخ البرية وظلَّ هكذا مستيقظًا لرهبنته حتى أسقفيته وإلى نفسه الأخير: صلاته

من نار وقلبه مستيقظ وقيثارته تعزف سرّ الإماتة اليومية. فعندما كان فتى كان هادئًا، ولما صار شابًا كان خفيفًا عفيفًا نظرته يقفز كالغزال، فأتى راهبًا زاهدًا عابدًا ثم أسقفًا ناسكًا يرعى القطعان بقدوته. بعيدًا عن الصخب ولذة المجد الباطل، ولم يكن مخدوعًا أبدًا بحياة السلطة وغرور التنعم وقوات هذا الدهر.

واظب على تلاوة المزامير كاسمه دواد المرنم الحلو، تلك الوسيلة التي علمه بها الروح القدس حياة الاتكال والإخلاء والترك. مقدمًا صورة واقعية لحياة المسكنة والتجرد النادر البعيد عن الزهو والشراهة متحليًا بجوائز السكون، غير ملتفت لمتطلبات الجسد. فصار نموذجًا لصورة المتوحد الحقيقة، الذي نقل مغارته التي يسكنها إلى دار مطرانيته بالمنصورة المحبة للمسيح ، وهكذا صار كهنتها معه في طريقتهم ومسالكهم النشطة التي تعمل عمل الخميرة لتخمر العجين كله لكن في سكون وسكوت.

تعب كثيرًا في تعمير دير البراموس وبنى أسواره كنحميا الجديد، باسلًا ومستبسلًا في خدمة ديره مسكن آبائه الأولين ووكيلًا أمينًا عليه، حتى الإعياء والانصهار. اختاره البابا المتنيح أنبا شنوده الثالث نيح الله نفسه ليكون سكرتيرًا له، في سنة ٢٠٠٢م، ثم شرع في رسامته ليكون أسقفًا على مدينة سيدني (أستراليا)، وكان يستعد لذلك على غير رغبته (حسبما كان يفصح لي حينئذ)، حتى صنع الله تدابيره ليكون "موسى البرموسي" المختار أسقفًا لإيبارشية المنصورة. وهناك تسلم خدمته الأسقفية في ١٤ / ١١ / ٢٠٠٢م خلفًا لطيب الذكر المتنيح أنبا فيلبس مطران الدقهلية. ووقتها كان المتنيح أنبا بيشوي مطران دمياط نائبًا بابويًا لهذه الإيبارشية. وقد رعيَّ شعبه قرابة عشرون سنة من نوفمبر ٢٠٠٢م وحتى نوفمبر ٢٠٢٢م.

أعطاه الله أعمال معمولة بحكمة ليبنيها وينجزها وقد غربلته التجارب لكنه أقتنى بصبره ميراث القديسين ، مختبرًا للحياة النسكية، خبيرًا في دروب الرب حاصدًا متعتها، صائرًا حصنًا منيعًا حتى وسط هوان الجسد وضعفه. ودعته الوداع الأخير وكنت أعرف أنها آخر مرة، في صوم السيدة العذراء "أغسطس ٢٠٢٢م" كما عودني كل عام. لكن لقائي الأخير معه كان ترتيبه وداعيًا إذ كان ثلاث مقابلات، على مدى يومين حيث كنت أقيم كما عودني في قلاية ملاصقة لقلايته بالمطرانية التي لم يكن سراج قنديلها ينطفئ بينما سكونها يملأ الأرجاء. وأذكر أنه هو الذي رتب جلساتنا بالرغم من استعفائي لوضعه الصحي الصعب. وتحدث في لقاءنا

الأخير معًا ، حديث ذكريات ومن بين ما ذكره لي، كيف كانت آمانيه الروحية طموحة في إتجاه الوحدة بالمغارة، وكيف أن رفقائه هناك سبقوه إلى ارتقاء مصاعد كان هو يتوق إليها؟! وأن خدمته الأسقفية حالت دون سلوك حياة الوحدة وجني مشتهيات ثمارها. فقلت له لقد دبر الله يا أبي أن تنتقل بمغارتك إلى العالم لتكون شاهدًا في مطرانيتك أن مسيحنا الفقير الأبدي لا يترك نفسه بلا شهود، يشيرون إلى إمكانية القداسة بأعلى درجاتها حتى في وسط العالم ، وهم نماذج وعلامات إرشادية عند من يسعى لمعرفة أسراره الإلهية . وبالحق كان كل من تلاقى معه يجد مقر مطرانيته يحمل عبق التاريخ بملامحه العريقة التي ترسخ في الأذهان نموذج مطارنة الزمن الجميل ، في أثاثها وجوها وأركانها ، خاصة عندما يجد أن أسقفها ساكنها راهبًا ناسكًا لا يملك شيئًا من الغنى العالمي، بينما يملك ما لايملكه أحد، حيث مسيح المزود حاضرًا وساكنًا يرعى عند الظهيرة ، ويقود من يحرسون حراسات الليل.

أنبا داود كان يرتدي حلة التواضع وملابس الزهاد وسكان الجبال، عارفًا حلاوة الضيافة ومائدته طيبة للقلب: استضاف بها ملائكة.. حوارته قليلة لكنها تصعق الشياطين لأنها بلا هوى ولا غرض. جلساته يلفها السكون وهدوء مخافة الله، وكلماته البسيطة غير المتكلفة لها فاعليتها لأنها مؤسسة على أعماله ومظهره وعيشته.

إن حديثه الأخير معي كان وداعيًا لأن سلاسل محبة عميقة وعجيبة كانت تربطنا من الثمانينات واستمرت عندما كان الراهب موسى البرموسي.. لقد ودعني أخيرًا وداع المحبة الأخوية ودّعني بخاتم الصمت وبالحديث الطويل وبالوداع المتكرر الذي احسسته وهو كان يحسه، حتى أني تأخرت عن موعد الخدمة التي كلفني بها في كنيسة العذراء (توريل). وذهب معي مودعًا بالرغم من حالته الصحية، ماشيًا ليودعني حتى باب المطرانية ويلاحقني بعينيه حتى التحرك وسط استعجاب المحيطين.

إنني اليوم يا آبانا البار أراك بعد أن سكت وتوقف جسدك المنهك، أراك كفرخ النسر المحلق في الأعالي تحمل معك ثمار البر وبيدك كتاب وكالتك كعمود من دخان معطّر بالمر وباللبان وبكلّ أذرة التاجر لتجلس مع كهنة الحق السمائيّ حيث مجد إلهنا وحيث لا تقف أمامه خليقة صامتة. اذكرنا يا آبانا الحبيب وأنت الآن في موضع الشفاعة مع كل الذين تكملوا بالإيمان بالمسيح إلهنا منذ البدء.

إلى كل من يحمل أحشاء رأفة (٢)

أ. نادية منير

في المقال السابق الذي نُشر في عددي سبتمبر وأكتوبر ٢٠٢٢م، تحدثنا عن حالات تفكك العلاقات الزوجية في الأسر الفقيرة والتي تحتاج إلى فعل محبة يَشفي ويداوي جراحات الفقر والاحتياج. فالنصح والإرشاد بالكلام لا يَجدي نفعًا مثلما تفعل أعمال الرحمة وطرق الوقاية، وخلق مجتمع بديل روحي يعوضهم عن المجتمع الذي فرضته عليهم ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية.

أما العلاقات الزوجية في المستويات المعيشية المرتفعة، والذين عادة يكون أطرافها ذوي مستوى ثقافي وعلمي فوق المتوسط، فهؤلاء يقبلون الإرشاد والتحدث معهم بالمنطق والإقناع العقلي سواء أثناء الأزمات والمشكلات الزوجية أو بعد حدوثها. فضلاً عن اهتمام الكنيسة بإرشادهم قبل الارتباط وخاصة فيما يتعلق بكيفية اختيار شريك الحياة، وتصحيح الصورة الذهنية التي فرضها المجتمع الغربي على أولادنا وبناتنا عن الزواج، وذلك باعتراف المفكرين والباحثين الغربيين أنفسهم، والذين أقروا بعد دراسات عديدة بأن المغالاة في الفردية والذاتية والعلمانية والمادية، هي العوامل التي أدت إلى انهيار الحياة الأسرية في الغرب، كما أنها تهدد الحضارة الغربية ذاتها.

وهنا نبدأ بالبحث حول هذه العوامل، بأكثر تفصيلاً وذلك من خلال البحث في الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها الرجل أو المرأة من وراء الارتباط أو الزواج، لأن هذا الدافع أو الهدف من الزواج يكون في الحقيقة هو العامل الرئيسي في اختيار شريك الحياة...

فقد تتعدد الأهداف بين الرغبة في الاستقرار أو تحقيق الإشباع الجنسي أو تعويض نقص أو احتياج مادي أو عاطفي أو نفسي أو التحرر من قيود وضغوط الآباء في الحياة السابقة للزواج أو غيرها من الأهداف...

لكنها في المجمل يمكن وضعها تحت عنوان إسعاد الذات، حيث يسعى كل طرف إلى الحصول على شيء ينقصه أو يريده...

وهنا تكمن خطورة الخطأ في الهدف من الزواج، لأن الأهداف الخطأ لن تستطيع الصمود أمام الواقع ومشاكله، وضغوط الحياة ولن تحمي العهد بين الطرفين من الزلل أو تبقيه ثابتًا راسخًا مدى الحياة، ومن هنا ندعو كل طرف إلى مراجعة هدفه من الزواج أو تعديله بعد الزواج ليسير في الاتجاه السليم، الذي يحميه لأنه في حقيقة الأمر سوف تُمثل الأهداف والدوافع الخاطئة للزواج الأسباب

الخفية الحقيقية وراء فشل العلاقة الزوجية فيما بعد...

ونبدأ بالاختيار هل يقوم على العقل أم العاطفة أم كليهما معًا؟ ولمن تكون الأولوية، تقول الحكمة في سفر الأمثال (١٤:٩):

"الزوجة المتعقلة من عند الرب وهي إشارة إلى أولوية العقل في الاختيار فإذا اقتنع العقل كان هذا بمثابة الشرارة لإطلاق العاطفة وعملها، وهكذا يتحقق التوازن فيما بينهما. وحينما تخمد العاطفة يستوعب العقل المشكلات ويتغلب عليها، وعندما تقوى الضغوط والمشكلات تتذكر العاطفة، وتشفع بما لديها من مخزون عاطفي للمشاعر..

ونعود للدوافع فإذا كان الدافع الأساسي من الزواج هو إشباع الرغبة الجنسية بطريقة شرعية أخلاقية فإن هذا الهدف سوف يتلاشى بعد فترة طالت أو قصرت بعد تحقيقه، وإن لم يتحقق الإشباع سوف يُصاب الطرفان بالإحباط واليأس وقد يكون سببًا رئيسيًا في فشل العلاقة الزوجية واستمرارها، وإذا كان الهدف من الزواج هو التحرر من السلطة، فإن الكتاب يوصينا على فم بولس الرسول قائلاً: "أما المتزوجون فوصيتي لهم وهي من الرب لا مني أن لا تفارق المرأة زوجها" (١كو٧:١٠،١١) "ليوفي الرجل المرأة حقها كما على المرأة أن توفي زوجها حقه، لا سلطة للمرأة على جسدها فهو لزوجها وكذلك الزوج لا سلطة له على جسده فهو لامرأته" (١كو٧:٣،٤).

هذا فضلاً عن وصية الخضوع لكل طرف للآخر، وإذا كان الهدف هو الأخذ أو تعويض نقص ما فإنه مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ، لأن الذي يأخذ لن يشبع، فالعين لا تشبع من النظر والاحتياجات لا ولن تنتهي، أما الاكتفاء فهو الذي يَشبع ويُشبع من يقتنيه، "لا تقلقوا أبدًا بل اطلبوا حاجتكم من الله بالصلاة والابتهال والحمد وسلام الله الذي يفوق كل إدراك يحفظ قلوبكم وعقولكم في المسيح يسوع" (في٤:٦،٧).

فإذا بدأ كل طرف حياته الزوجية بصورة خاطئة عن الزواج، فإن صدمه الواقع بحقيقة مختلفة عن العلاقة الزوجية التي يجب أن تكون قائمة على هدف الشركة والاتحاد مع الآخر للوصول والشركة مع الله في تنشئة أبناء له متواصلين معه، ومحبين له لبعضهم البعض، فالعلاقة الزوجية هدفها أن يكون الزوج والزوجة والأبناء لهم فكر المسيح وصورته، متواضعين في تفضيل الآخرين على أنفسكم، ناظرين لا إلى منفعتكم بل إلى منفعة غيركم، فكونوا على فكر المسيح يسوع" (في٢:٣-٥).

"فلا ينظر كل منهما إلى ما هو لنفسه بل للآخر فيشبع كل منهما بالعطاء، وبفيض وسكيب محبة الروح القدس الذي جمعهما ويحفظ وحدتهما إلى الأبد...

دور المرأة فى تاريخ الخلاص وحياة الكنيسة (٤)

٣- رفقة

ثم نأتي إلى **رفقة**[١] زوجة **إسحق** وأم عيسو **ويعقوب** أبي الأسباط الاثنى عشر، وإذا كنا عرفنا **سارة** أول ما عرفناها زوجة لأبينا إبرهيم وأنها كانت عاقرًا (تك١١:٢٩)، ولم نعرف عنها قبل ذلك، فقد عرفنا رفقة أول ما عرفناها شابة فائقة الجمال "**حسنة المنظر جدًا**" (تك ٢٤:١٦) وهي آتية إلى البئر القريبة ـ كما كانت تفعل كل يوم ـ ولكن هذه المرة كانت على موعد مع لقاء رتَّبته النعمة سيُغيِّر حياتها وينقلها إلى دائرة المختارين لخدمة الخلاص.

نشأت رفقة في حاران (فدان آرام) في أور الكلدانيين (شمال العراق الحالية) التي جاء إليها في البداية أبو الآباء إبرهيم (أبرام) ولكنه رحل عنها إلى كنعان (جنوب النقب) طاعة لأمر الله (تك١٢:١-٥)، بينما بقية عائلة رفقة في حاران: الجد تارح (والد إبرهيم وناحور)، وأبوها بتوئيل (أحد ثمانية أولاد لناحور) وامرأته مِلكة.

■ رفقة وإسحق:

في كنعان كان إبرهيم قد تقدمت به الأيام (تك٢٤:١١)، وكان يشغله أن يجد زوجة مؤمنة لإبنه إسحق (الذي بلغ الأربعين) وليست من بنات الكنعانيين الذي كان يعيش بينهم. هكذا استدعى عبده المُخلِص وموضع ثقته **أليعازر الدمشقي** واستحلفه بالرب أن يمضي إلى أرض الآباء مؤمنًا أن الرب سيرسل ملاكه قدامه ويقود خُطاه، ويأتي بزوجة لإسحق لتعيش معهم.

وفي قافلة من عشرة جِمال اتجه أليعازر إلى حاران حيث يُقيم ناحور أخو إبرهيم. ومع إقبال المساء وهو على مشارف المكان، أناخ الجمال عند البئر، ورفع قلبه إلى الله مصليًا: "**أيها الرب إله سيدي إبرهيم، يَسِّر لي اليوم وأصنع لطفًا إلى سيدي إبرهيم. ها أنا و اقف علي يمين الماء، وبنات أهل المدينة خارجات ليستقين ماء، فليكن أن الفتاة التي أقول لها أميلي جرّتك لأشرب فتقول اشرب و أنا أستقي جِمالك أيضًا هي التي عينتها لعبدك إسحق**" (تك٢٤:١١-١٤).

---

(١) معنى الاسم العبري **رفقة**: رباط أو وثاق الذى يشير إلى العلاقة القوية التى جمعت بينها وبين إسحق حتى قبل أن تراه، كما أن الكلمة العربية تعنى الصحبة وما تتضمنه من المحبة والألفة كما كانت حياتها مع إسحق، فهى نموذج المؤمن الذى ينفتح قلبه لمحبة الله والقريب، وإذا كانت رفقة هى ابنة بتوئيل (رجل الله) ومِلكة (المجد السمائى) فليس غريبًا إن تهيأت لتكون زوجة إسحق ابن الموعد رمز المسيح، وأم أبي الأسباط يعقوب الذي من نسله يأتي ابن الله المتجسد.

ومن أجل بساطة قلبه وثقته في إله إبرهيم، فهو لم يكد ينتهي من صلاته حتى جاءت إلى البئر رفقة، الفتاة العشرينية الجميلة، لتستقي. وما أن ملأت جرّتها وحملتها وسارت عائدة حتى ركض نحوها أليعازر ليعرف هويَّتها. ولكي يبدأ معها الحديث سألها أن يشرب من جرّتها[٢]. أما رفقة فبدت واثقة من نفسها ولم تنزعج أمام هذا الغريب، بل أظهرت لطفها وكرمها ومبادرتها للخدمة، فكانت جميلة قلبًا وقالبًا كمعنى اسمها. فهي أنزلت جرّتها على يدها وسقت أليعازر، بل سارت "ميلًا ثانيًا" وعرضت أن تستقي لجِماله أيضًا بينما هو يفرغ من الشرب. وأسرعت وافرغت جرّتها في المسقاة، وعادت إلى البئر راكضة تملأ جرّتها من جديد لتستقي الجمال.. والرجل يتفرس في الفتاة الرائعة صامتًا متفكرًا إن كان الرب قد أنجح طريقه أم ليس بعد. ولما سألها عن اسمها وإن كان عندهم مكان للمبيت، أجابته عمن تكون، ورحَّبت به ورجاله حيث المكان والطعام المتاح لهم ولجِمالهم. هنا قلَّد أليعازر رفقة هداياه الذهبية التي حملها لخطبتها :خزامة في أنفها وسوارين في يديها[٣].

والفرحة وقد ملأت قلبها، تركض رفقة وتسبقهم إلى البيت، وهي مزينة بالذهب، وتحكي لأهلها عما كان. فخرج أخوها **لابان**. وركض نحو العين ليستقبل أليعازر رسول عم أبيه إبرهيم ومن معه، ودعاهم ليغتسلوا، وقدَّم عَلفًا لجِمالهم، ووضع طعامًا للرجال ليأكلوا، ولكن أليعازر طلب أن يتكلم أولًا قبل أن يمد يده ليأكل، مقدمًا لهم نفسه، وحكى قصة مجيئه كلها طالبًا أن يعرف ردّهم لكي ينصرف.. فأجاب لابان وبتوئيل "**من عند الرب خرج الأمر.. هوذا رفقة قدامك. خذها واذهب. فلتكن زوجة لابن سيدك كما تكلم الرب**" (تك٢٤:٥٠-٥١)، فسجد أليعازر إلى الأرض، وقدَّم لرفقة آنية ذهب وفضة، وثيابًا وتُحفًا لأمها وأخيها.

بعدها جلس الرجال ليأكلوا وقضوا الليل. وفي الصباح وهم يتأهبون للرحيل، إذا بالأم والأب والأخ، وقد ضعفوا أمام مشهد ابنتهما التي ستغيب عنهم وربما لن يروها فيما بعد، يطلبون أن تبقى الفتاة أيامًا أو عشرة قبل أن تمضي بعيدًا.. ولكن أليعازر سألهم ألا يعوقوه وقد أنجح الرب طريقه. ولكي يُريح قلبهم قال لنترك للفتاة الاختيار.. وكان رد رفقة القاطع كلمة واحدة "**أذهب**" (تك٢٤:٥٨). فهي في إيمانها أطاعت مشيئة الله وتركت بيت أبيها دون تردد،[٤] وقَبلت أن تتزوج شخصًا لم تره من قبل، أو

---

(٢) يستدعى مشهد لقاء أليعازر برفقة عند بئر حاران، لقاء الرب مع السامرية عند بئر سوخار. وبينما كانت مهمة الأول أن يجد زوجة لإسحق، كانت مهمة الرب أن ينقذ السامرية من حياة الخطية لتصير ابنة له، وكما بدأ الرب اقترابه من السامرية بطلب الماء ليشرب، هكذا فعل أليعازر مع رفقة.

(٣) تقديم الحلى الذهبية لرفقة لخطبتها لإسحق يقابله دعوة الرب للكنيسة: "**وأخطبك لنفسي إلى الأبد، وأخطبك لنفسي بالعدل والحق، والإحسان، والمراحم، وأخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب**" (هو٢:١٩، ٢٠).

(٤) شابهت رفقة في هذا موقف أبينا إبرهيم الذي أطاع صوت الرب: "**اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أُريك**" (تك١٢:١)، وكما فعل شاول إزاء دعوة الرب له للكرازة للأمم باسمه "**للوقت لم أستشر لحمًا ودمًا ولا صعدت إلى أورشليم بل أنطلقت..**" (غل١:١٦، ١٧) فرفقة هي رمز لكل نفس تأتيها الدعوة لتكون عروسًا للمسيح وتستجيب لها في الحال.

تتعرف عليه وإنما فقط لأنه مؤمن مثلها ومن عائلتها المباركة.

هكذا صرفوا رفقة ومرضعتها (دبورة) وفتياتها وباركوها قائلين: "**أنتِ أختنا صيري ألوفًا وربوات وليرث نسلك باب مبغضيه**" (تك٢٤:٦٠) وكأنهم ينطقون بكلمات الله. ومن ثم بدأت المسيرة الموعودة إلى حياة رفقة الجديدة.

من ناحيته، كان **إسحق** قد أتى قادمًا من بئر لحي رُئي (بئر الرؤيا) حيث يُقيم، وخرج ليتأمل في الحقل عند إقبال المساء، فنظر عودة القافلة التي تحمل العروس التي تمناها. فرأته رفقة من بعيد وهي فوق الجمل وخفق قلبها لمرأى إسحق (ابن عم أبيها). فنزلت وذهبت إلى أليعازر في أول القافلة تسأله عمن يكون الشاب، فقال هو سيدي إسحق. فتغطت بالبرقع في حياء (فلا تكشف وجهها له إلا بعد الزواج بحسب تقاليد ذلك الزمان).

وأقبل أليعازر على إسحق يحكي له ما جرى. وإذ يرى إسحق رفقة (ابنة ابن عمه) ينفتح قلبه لها، ودون احتفالات يُدخلها إلى خباء سارة أمه "**فصارت له زوجة وأحبها، فتعزى إسحق بعد موت أمه**" (تك٢٤:٦٧)(قبل سنوات ثلاث).

لم تنجب رفقة سريعًا ولكن بقيت عاقرًا لعقدين. وصلى إسحق لأجلها فحبلت. ولم تدرك رفقة أن في بطنها توأمين. وعانت كثيرًا حتى أنها سألت الرب عن سر آلامها فقال لها: "**في بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد لصغير**" (تك٢٥:٢٣)، ولما جاءت ساعتها لتلد خرج الأول "**أحمر مشعر**"، فدعوا اسمه **عيسو** (= مشعر)، وبعد ذلك خرج أخوه قابضًا على عقبه فسموه يعقوب.

■ يعقوب وعيسو:

وكبر الغلامان، "وكان عيسو شرسًا جسورًا يجوب البراري ويحسن الصيد، أما يعقوب فكان "**إنسانًا كاملًا" (تك٢٥:٢٧)**، وأحب إسحق عيسو الذي كان يوفر له الطعام مما يصيده، وأما رفقة فكانت تحب يعقوب الطيب الذي كان يلازم الخيمة قريبًا منها.

ويومًا عاد عيسو من البرية منهكًا جائعًا فوجد يعقوب يطهو **عدسًا**، فجذبته رائحته ولونه، فقال له: "**أطعمني من هذا الأحمر**"، وانتهز يعقوب الأريب فرصة جوع عيسو الشديد. وقال له: "**بعني اليوم بكوريتك**" مقابل الطعام، بما يشى أن يعقوب يحفل بموقع البكر، بينما كشف عيسو عن استهتاره وضعفه واحتقاره لبكوريته وبركاتها (عب١٢:١٦)، فنراه يقول: "**ها أنا ماضٍ**

إلى الموت.." فأي قيمة للبكورية هنا!! وجعله يعقوب يحلف **"فحلف له فباع بكوريته ليعقوب... فأكل وشرب. وقام ومضى"** (تك٢٥:٢٩-٤٠).

ثم يحدث جوع وتتكرر من جديد قصة إبرهيم وسارة في مصر مع إسحق ورفقة وهما عند أبيمالك ملك الفلسطينيين في جرار، فيقول إسحق عن رفقة إنها أخته كي لا يقتلوه ويأخذوها لهم إن قال إنها امرأته، ولما اكتشف أبيمالك الأمر وبخ إسحق على تصرفه الذي كان ممكنًا أن يجلب عليهم الأهوال إن اضطجع مع رفقة واحد من الشعب.

ويواصل عيسو طياشته وعدم التزامه فيتزوج يهوديت وبسمة الحيثيتين **"فكانتا مرارة لنفس إسحق ورفقة"** (تك ٢٦:٣٥)، وتكون الطامة عندما يفقد عيسو البركة أيضًا بعد أن باع بكوريته. ذلك أن إسحق، الذي طعن في السن وضعف بصره، طلب من عيسو أن يأتي له بصيد شهي حتى يباركه. وإذ سمعته رفقة كلمت يعقوب لكي يستعد ليسبق عيسو، ورغم أن يعقوب كان مترددًا وتخوف لئلا يكتشف أبوه الحقيقة لو لمسه وهو رجل أملس فينال لعنة بدل البركة.. إلا أن أمه يسّرت له الأمر وأعدت هي الطعام وألبسته ثياب عيسو. وغطت يديه وحول رقبته بجلد المعزى، واضطرته ليكذب على أبيه على إنه عيسو، ورغم حيرة إسحق من سرعة إعداد الطعام (فلم يكن صيدًا من البرية وإنما جديًا من البيت)، وبعد أن لمس يعقوب زادت حيرته فرائحة الثياب والجلد المشعر لعيسو، ولكن الصوت ليعقوب. فسأله ثانية إن كان هو عيسو فأكّد على ذلك. أكل إسحق إذًا وباركه[٥] (تك٢٧:١-٢٩).

وخرج يعقوب ودخل عيسو ليكتشف إسحق الخديعة **"فيرتعد إرتعادًا عظيمًا جدًا"** ويصرخ عيسو **"صرخة عظيمة ومرة جدًا"** فها هو يعقوب يتعقبه مرتين فمن قبل أخذ البكورية والآن البركة. ورفع صوته وبكى، وعزم أن ينتقم من يعقوب الذي اضطر للهرب بنصيحة أمه عند خاله لابان. وبقى هناك عشرين سنة، حيث تزوج ابنتي خاله لابان ليئة وراحيل، وخلال غيابه رقدت أمه رفقة، فلم يرها ثانية أو يودعها.

(يتبع)

---

(٥) جانبًا من الدوافع وراء تدبير رفقة لكى ينال يعقوب البركة هو أنها حفظت كلمات الرب لها، وهى تحمل فى بطنها توأمها، أن الكبير يستعبد للصغير (تك ٢٥:٢٣)، ولكن يؤخذعليها أنها لم تنتظر أن يحقق الرب مشيئته كما يرى هو. وفى انحيازها لابنها يعقوب الذى تحبه (تك ٢٥:٢٨). انزلقت إلى الخداع ودفعت يعقوب دفعًا لمشاركتها خطتها حتى إنه لم يجد مفرًا فى النهاية من الايغال فى الكذب على أبيه الضرير. وان كانا واقع الأمر ينفذان إرادة الله فى الاختيار (رو٩:١١)، الذى بسابق علمه يعرف أن يعقوب (ونسله) هو الذى سيحقق مشيئته. وكانت كلمات إسحق الأخيرة ليعقوب وعيسو (تك٢٧:٢٧-٢٩ و ٣٩،٤٠). هي بالإلهام الإلهي واتفاقًا مع كلمات الرب لرفقة قبل عقود.

تقييم النجاح

أهدم مخازني و أبني أعظم منها

د. جرجس بشرى

عرضنا في المقالة السابقة، تعريفًا بسيطًا للنجاح، منه نعرف أن مفهوم النجاح نسبي يختلف من شخص لآخر بناء على أهداف كل شخص وما يريد أن يصل إليه، لكن هل كل إنسان يصل إلى ما يريده يكون إنسانًا ناجحًا.

ولكن هل كل ما نعتقده نجاح هو نجاح فعلًا، أمامنا قصة الغني الملقب بالغبي، والذي جعل كل هدفه فقط الغِنى وتكديس الثروات في مخازن أكبر، وقد كان يرى نفسه شخصًا ناجحًا، فيبدو أنه قد حدَّد هدفًا لنفسه، وحقَّق هذا الهدف، فقد نجح أن يكون أكثر ثراء، ولكن كان نجاحًا بطعم الفشل لأنه كان فقيرًا في نظر الله، وهذا يضع شرطًا آخر للنجاح، وهو أن يكون الشخص ناجحًا أيضًا في نظر الله، وهنا تتجلى أهمية الأهداف التي تسعى لتحقيقها، فيجب أن تكون أهدافًا لخدمة الآخرين أيضًا وليس لخدمة ذواتنا فقط.

ومثالًا لهذا النجاح، جراح القلب العالمي مجدي يعقوب، لم يكن قيمة نجاحه هو فقط الحصول على الجوائز والأوسمة والنياشين والشهادات، لمجده الشخصي، ولكن ما أعطى لنجاحه بُعدًا أسمى هو دوره الإنساني في رفع المعاناة عن آلاف مرضي القلب في مختلف دول العالم، وهكذا صار هذا البعد الإنساني، الذي بالطبع يتفق مع إرادة الله، شهادة حقيقية لنجاح حقيقي.

فلا ننخدع بمظاهر النجاح التي تُقاس بالغِنى المادي الشخصي الذي لا يُقدِّم شيئًا للآخرين، أو ربما كان ثراء على حساب ظلم الآخرين وسلب حقوقهم، ولا ننخدع أيضًا بمظاهر النجاح القائمة على آراء الآخرين سواء من خلال تقييمهم لنا أو مديحهم، فما فائدة مديح الآخرين إن كنا لا نشعر بهذا الرضى في داخلنا. أو إن كنا نفقد السلام الداخلي الذي يمنحه أحدًا من البشر، بل الله وحده، بل ربما كان بداية مصداقية نجاحنا هو أن نتحرَّر من آراء الآخرين. وكما قال بولس الرسول إن كنت بعد أرضي الناس فلست عبدًا للمسيح، وفي هذا السياق نحتاج للنصيحة التي قدَّمها أحد شيوخ البرية لزائر يطلب منه كلمة منفعه، فأرسله يمدح الأموات في قبورهم، ثم بعد ذلك يذمهم، وفي الحالتين لم يجيبوا، فطلب منه أن يفعل مثلهم تجاه كلام الآخرين عنه.

البابا ثاؤفيلس بين السلطة والعقيدة

٢ـ مجمع السنديانة (٤٠٣) جـ٢

د. أمجد شوقي

رأينا في المقال السابق كيف تحالف البابا ثاؤفيلوس مع أعداء يوحنا سواء هؤلاء الذين في القصر الإمبراطوري أو الشماسين الذين كان قد عزلهما يوحنا من الخدمة في القسطنطينية حسب الطلب الإمبراطوري، اجتمع ثاؤفيلوس والأساقفة المؤيدين له في قصر عُرف بقصر السنديانة بجانب مدينة خلقدودنية في سبتمبر ٤٠٣م.

استدعى الأساقفة المجتمعون يوحنا للمحاكمة أربع مرات وفي المرات الأربعة رفض يوحنا الحضور. استمع الأساقفة المجتمعون إلى الشكايات ضد يوحنا ولم يوجد من يدافع عنه حيث رفض الأساقفة المؤيدين له حضور المجمع رغم أن الاتهامات كانت إدارية وليست عقيدية إلا أن ثاؤفيلوس وأساقفة السنديانة وجدوا في تلك الاتهامات وفي رفض يوحنا المتكرر الخضوع لإجراءات المحاكمة مبررًا كافيًا لعزله.

أرسل المجمع رسالة إلى الإمبراطور يخبره فيها بقراره، جاء فيها حسب بلاديوس:

[لما كان يوحنا قد اتُهم بجرائم عدة كان واعيًا بذنبه، ورفض الحضور لذلك أُسقط من أسقفيته بموجب القوانين، وتضمنت الدعاوى أيضًا تهمة الخيانة لتقواكم وهذا الأمر متروك لكم لتكرروا ما إذا كان يُطرد من وظيفته أم لا؟ وما إذا كان عليه أن يُسدد غرامة تهمة الخيانة أم لا؟[٦]].

كانت عقوبة الخيانة هي الموت. لم يكتفي أساقفة السنديانة بقرار الخلع بل حاولوا أيضًا إثارة الإمبراطور ضد يوحنا فيعلق بلاديوس قائلًا:

[كانوا يتوقون إلى رؤية يوحنا مقتولًا بالسيف].

قُبض على يوحنا وأُرسل إلى البوسفور ليبدأ رحلة نفيه وأدى ذلك إلى اشتعال المظاهرات المُطالبة بعودته، ما لبث أن غير الإمبراطور رأيه وطالب من الجنود إعادة يوحنا إلى القسطنطينية].

قد يكون سبب تغيير رأي الإمبراطور هو تعرُّض القسطنطينية إلى زلزال مُدمر أو تعرُّض الإمبراطورة لمرض مفاجئ مما أدى بالإمبراطور إلى الظن بأن الظلم الذي وقع على يوحنا هو الذي أدى إلى هذه الكوارث التي تعرضت لها عاصمته[٧].

بينما الأجواء في العاصمة الإمبراطورية تتجه لصالح يوحنا، فنجده يرتكب خطأً سياسيًا باهظًا، حيث هاجم في عظة له الإمبراطورة لإقامتها تمثال من الفضة لنفسها. مرة ثانية ينقلب القصر

---

(٦) الحوار الفصل الثامن.

[2] J.N.D.Kelly: Golden mouth: P 232 - 33

الإمبراطوري ضد يوحنا، ووصلت أخبار غضب الإمبراطورة إلى ثاؤفيلوس، فكتب إلى الأمبراطور طالبًا بعزل يوحنا نهائيًا لأنه خالف قوانين مجمع أنطاكية ٣٤١م، وقد جاء في قوانين هذا المجمع أن أي أسقف يُعزل بمجمع ويعود إلى كرسيه بدون قرار مجمعي جديد، يجب أن يُعزل نهائيًا بدون أن يُقدم له أي فرصة للاستئناف. كان هذا المجمع عقده الأساقفة المعادين للبابا أثناسيوس الرسولي أثناء نفيه في محاولة منهم لعزله نهائيًا عن كرسيه[٨].

استمر يوحنا في القسطنطينية إلى عيد القيامة لعام ٤٠٤م إلى أن أمر الإمبراطور بنفيه مرة ثانية.

لكى تَكمل شرعية المجمع كان لابد أن يصادق الإمبراطور على قراراته وكان لابد أن ينال تأييد أساقفة الكراسي الكبرى في الشرق والغرب، بالنسبة للشرق نال ثاؤفيلوس موافقة بورفيري أسقف أنطاكية وأرساكيبوس الذي خلف يوحنا على كرسي القسطنطينية، لكن بقى أهم كرسي في الغرب وهو كرسي روما.

وصف لنا بلاديوس بالتفصيل محاولات ثاؤفيلوس لنوال تأييد أنوسنت أسقف روما، سارع ثاؤفيلوس بإيفاد شماس إلى أنوسنت حاملًا رسالة شخصية منه يخبره فيها بقرارات المجمع.

يقول بلاديوس: [عند قراءة هذه الرسالة أنزعج المبارك أنوسنت إلى حد ما وأدان إندفاع ثاؤفيلوس إذا لم يكتب فقط بسلطته الخاصة منفردًا بل أهمل أيضًا توضيح خلعه له، ولا من هم الذين انضموا إليه في الحكم بالخلع وهكذا وجد نفسه في موقف صعب[٩]].

بعدها وصل إلى روما أربعة أساقفة من قبل يوحنا وسلموا أنوسنت رسالتين، إحداهما من يوحنا والأخرى من الأربعين أسقفًا الذين ظلوا على شركة مع يوحنا.

لم يذكر يوحنا في رسالته أن أي اتهامات عقيدية وُجهت إليه لكنه دافع على نفسه بتفنيده للخطوات التي قام بها ثاؤفيلوس قبل إنعقاد المجمع وقبل أن توجه إلى يوحنا أي اتهامات، حيث اتصل ثاؤفيلوس بإكليروس القسطنطينية بدون علم أسقفها باحثًا عن من له شكاية ضد يوحنا، في نفس الوقت فند يوحنا الإجراءات التي اتبعها المجمع، والتي لا تتفق مع القوانين الكنسية.

بنى يوحنا دفاعه على أربعة نقاط[١٠]:

١- رتب ثاؤفيلوس من البداية مؤامرة خلعه.

[أمر ثاؤفيلوس بناء على تقارير رفعت ضده إلى ملكنا التقي بالمثول أمامه منفردًا، لكنه وصل بصحبة عدد كبير من المصريين، كما لو كان حريصًا على اظهار حالة الحرب والصراع منذ البداية].

٢- كسر ثاؤفيلوس الأعراف الكنسية برفضه الشركة مع يوحنا حتى قبل أن توجد أي شكاوي ضد

---

(٨) سقراطس ٦:١٨ و Kelly: P242

(٩) الحوار الفصل الثالث.

(١٠) الحوار الفصل الثاني.

يوحنا:

[فور أن وطأ المدينة العظمى القسطنطينية، لم يتوجه إلى الكنيسة وفقًا للقاعدة التي سادت منذ الأزمنة القديمة، ولا أجرى أى تعامل معنا، ولا شارك معنا فى حديثٍ أو صلاة].

٣- احترام يوحنا القوانين الكنسية برفضه أن يرأس محاكمة ثاؤفيلوس. لأن القوانين تمنع الأسقف من التدخل فى شئون إيبارشية أخرى خارجة عن نطاقه الجغرافى [كان لدينا احترام كبير وتكريم للقوانين التي وضعها الآباء. كان في حوزتنا رسالة من ثاؤفيلوس قال فيها إنه لا ينبغي مناقشة القضايا الخاصة بإيبارشية ما خارج حدودها، بل ينبغي تناول شئون كل إيبارشية داخل الإيبارشية، لذلك رفضنا مناقشة القضية].

٤- رفض يوحنا المثول أمام المجمع لأنه لا يصح أن يكون المدعي هو في نفس الوقت القاضي: [لما كنا نعى أننا سنمثل ليس أمام قاضى، لكن أمام عدو لدود كما أظهرت تصرفاته السابقة... أجبنا باعتدال مناسب، وقلنا إنه ليس لدينا اعتراض على أي محاكمة خلاف المحاكمة أمام عدد صريح ولدود].

دع يوحنا أنوسنت إلى العمل على مساعدته [الأحوال لا تتطلب الرثاء فقط، بل اتخاذ إجراء علاجي والنظر في الخطوات الواجب اتخاذاها لإخماد هذه العاصفة الهوجاء داخل الكنيسة[١١].

وصف سقراطس رد فعل أنوسنت قائلًا:

[كان أنوسنت أسقف روما ساخطًا للغاية عندما علم بالإجراءات التي اتخذت ضد يوحنا وأدان هذه الإجراءات وبدأ يهتم بالدعوة إلى عقد مجمع مسكوني].

ظهر هذا السخط واضحًا في الرسالة التي وجهها أنوسنت إلى ثاؤفيلوس فخاطبه قائلًا:

[أيها الأخ ثاؤفيلوس نحن نعترف بك وبالأخ يوحنا معا شركاء لنا، حسبما عبرنا عن وجهة نظرنا هذه في خطابنا السابق. الآن بدون أن نحيد عن سياستنا الثابتة هذه، يمكننا أن نكتب مرة ثانية نفس الرسالة على الرغم من الرسائل الكثيرة التي ربما تكون قد أرسلتها لنا، لم يكن هناك حكم سليم يؤكد هذه الإجراءات فإنه من المستحيل بالنسبة لنا أن نقطع شركتنا مع يوحنا بدون سبب محدد، إن كنت إذًا متأكد من حكمك فلتأتي إلى مجمع مقدس يلتئم حسبما رسم المسيح واعرض اتهامك جهرًا في في

---

(١١) رأى البعض فى رسالة يوحنا إلى أنوسنت اعترافًا منه بأولوية أسقف روما لكن يرى العالم G.D.DUNN أن السياق العام للرسالة لا يؤيد هذا الرأى يوحنا اعترض على تدخل ثاؤفيلوس فى شؤون كنيسته. ولا يعقل أن يوحنا يطلب من أنوسنت أن يتدخل هو فى شئون القسطنطينية، فى نفس الوقت أرسل يوحنا نفس الرسالة إلى أسقف آخر فى الغرب هو أكيليا أسقف ميلان، لذلك يبدو أن هدف يوحنا من الرسالتين هو أن يتواصل هذين الأسقفين مع إمبراطور الغرب من أجل الدعوة إلى عقد مجمع شامل يضم كنائس الشرق والغرب لبحث المشكلة ولعل يوحنا أيضًا رأى أن تأييد أساقفة الغرب له قد يكبح جماح ثاؤفيلوس انظر:

Dunn, Geoffrey D, Roman primacy in the correspondence between Innocent I and John Chrysostom, (2005) - In: Giovanni Crisostomo. Oriente e Occidental tra IV e V secolo p. 687-698

ظل قوانين نقية لأن كنيسة روما لا تقبل أي قانون آخر. وبذلك تقف على أرض صلبة ضد كل مماحكة[١٢]].

يظهر تعاطف أنوسنت مع يوحنا في الرسالة التي أرسلها إليه حيث خاطبه قائلًا:

[أنوسنت إلى الأخ الحبيب يوحنا... ليس مطلوبًا مني أن أُعلِّم معلمًا وراعيًا لشعب عظيم بهذا القدر، إن الله يجرّب دائمًا أفضل الرجال لمعرفة ما إذا كانوا سيستمرون في أقصى صبر ولا يستسلمون للمعاناة، ومدى صدق الضمير في الثبات ضد كل المظالم التي تصيبنا... فيتشجع ضميرك بالحب أيها الأخ المكرّم. وبالأكثر لأن هذه المَلَكة في وسط المحن تُمثل شجاعة الفضيلة][١٣].

يذكر بلاديوس أن أساقفة الغرب اجتمعوا معًا برئاسة أنوسنت وأرسلوا رسالة إلى هونوريوس ملك المملكة الغربية وطلبوا منه أن يخاطب ملك الشرق كي يعقد مجمع شامل لإنصاف يوحنا، لم يتحقق الطلب، فقطع أنوسنت الشركة مع ثاؤفيلوس ومؤيديه بروفيروس أسقف أنطاكيا، وأرسيتوس الذي خلف ذهبي الفم. لم تعد الشركة بين روما والإسكندرية إلا بعد أنا أعاد كيرلس الكبير خليفة ثاؤفيلوس اسم ذهبي الفم إلى أسماء البطاركة التي تُقرأ في القداس(الدبتخيا).

ان القراءة الدقيقة للأحداث التي سبقت مجمع السنديانة تجعلنا نستنتج أن أساقفة السنديانة لم يبنوا قرارهم على أساس قانوني أو عقيدي، كانت المشكلة الحقيقية هي عدم ارتياح البابا ثاؤفيلوس لتنامي نفوذ يوحنا أسقف العاصمة الإمبراطورية، لذلك استغل معرفته بالقانون الكنسي ومهاراته الخطابية وتحالف مع أعداء يوحنا في العاصمة كي يطيح به لذلك يعلق الأب تادرس يعقوب على المجمع قائلاً:

[البابا ثاؤفيلوس لطّخ تاريخه بهذا المجمع الذي دعاه بلاديوس مجمع المتوحشين.. إذ صار ثاؤفيلوس أداة لتحقيق رغبات الإمبراطورة الشريرة، تجمَّع حولها طاقات معادية لروح الحق[١٤]].

في الواقع لطخ البابا ثاؤفيلوس تاريخه مرتين، **الأولى:** حين شوّه متعمدًا تاريخ أوريجانوس لكي يفرض سيطرته على رهبان الإسقيط. **والثانية:** حين حاكى المحاكمة الظالمة كي يطيح بذهبي الفم.

---

(٧) الحوار الثالث.

(١٣) سوزومين: الكتاب الثامن، الفصل ٢٦.

(١٤) تادرس يعقوب: ذهبي الفم – سيرته، منهجه وأفكاره ١٩٨٠م ص٨٨.

المخلِّص

"ليس بأحد غيره الخلاص" (أع٤:١٢)

هو المخلِّص من الميول الردية والعادات الشريرة، وهذا هو الوقت المقبول ويوم الخلاص. هو القادر أن يحلّ النفس من قيود الشر التي كبَّلتها زمانًا طويلاً، ويرفع الأثقال عن أكتاف المثقَّلين: "اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه وهو قريب" (إش٥٥:٦).

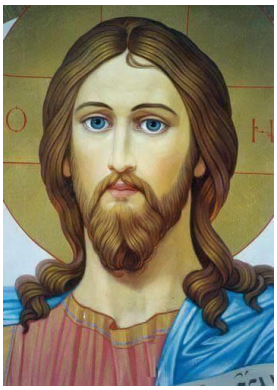

كل الذين وضعوا ثقتهم في المسيح المخلِّص وطلبوه ليخلِّصهم، لم يتخلَّ عنهم، هو قريب ويسمع لمن يدعوه. كل الذين جرفهم تيار الشر والإباحية، والتجأوا إلى المخلِّص أنقذهم، ووجدوا عنده الخلاص والأمان من شرور العالم وصاروا بمنجاة من طرق الهلاك.

"كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصًا هذا مقداره؟" (عب٢:٣).

الذي يهمل خلاصه لا يعرف قيمة نفسه، فهو يخاطر بهذه النفس ويخسر حياته إلى الأبد. لكن الذي رفع عينيه نحو المخلِّص، ورجع عن طرقه القديمة ونظر إليه كمخلِّص حقيقي قَبِل منه عطية الغفران والبر الإلهي الذي يؤهل الإنسان للحياة الأبدية.

ذراع المخلِّص قوية قادرة أن ترفع أولاده كي يكونوا غالبين كل شر محيط بهم في عالم يُسهّل ويشجع على الخطية. روح المسيح يمدهم بقوة للنصرة حتى لا يرضخوا لتيار الشر. هو قادر أن ينزع كل خطايا وآثام عششت في أركان القلب.

"حَمَلَ هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة" (١بط٢:٢٤). حمل خطايانا ليرفعها عنا، وهذا الأمر يُعطي رجاء لكل خاطئ بأن ذبيحة الصليب كافية للغفران، وأن دمه المسفوك يطهّر جميع الخطاة التائبين ويكفِّر عن ذنوبهم.

المسيح تمَّم خلاصًا عظيمًا وطريقًا آمنًا مضمونًا لكل من يطلب خلاصه ويسير في طريقه، وهذا الطريق وحده طريق النجاة من الدينونة الأبدية.

النفوس الأسيرة في مملكة الظلمة لا تقدر أن تتحرر بدونه فهو المخلِّص والمحرِّر العظيم. يده قديرة فيها قوة إلهية للتحرير والخلاص وفك المأسورين وإقامة الساقطين من حُفر الهلاك، فهو أقام لعازر بعدما أنتن في القبر، لكي تظهر عظمة قدرته في إقامة الموتى روحيًا من قبور الخطية لأجل نجاة نفوسهم الغالية عنده، فهو لا يتركهم في موتهم.

متعة العبادة الطقسية (٣)

وَتَلَذَّذْ بِالرَّبِ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ[١٥]

دكتورمجدي فرج

في الأعداد الماضية تحدثنا عن ضرورة التمتع بجمال الطقس والتلذذ بالرب، وكيف نرى السماء من خلال ممارستنا للطقوس الكنسية، وأن الطقس هو بوابة السماء المفتوحة، وأن الطقس يبدأ عند باب الكنيسة فالدخول للكنيسة هو دخول لحياة القداسة، وأن الطقس هو احتفال شعبي، واحتفال موسيقي، وفي هذه الحلقة نستكمل معا تلذذنا بالرب ونتعرف على اللغة الرمزية التي نمارس بها الطقوس الكنسية.

الطقس روحي ولغته رمزية:

"هَكَذَا يُصْنَعُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنَ يُكْرِمَهُ" (استير ٦: ١١)

في إحدي الأيام أراد الملك أحشويرش أن يكرم رجل اسمه مردخاي لولائه ولأنه أنقذه من مؤامرة، فسأل وزيره "مَاذَا يُعْمَلُ لِرَجُلٍ يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ؟"[١٦] فأجاب الوزير: "إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنَ يُكْرِمَهُ .يَأْتُونَ بِاللِبَاسِ السُّلْطَانِيِ الَّذِي يَلْبِسُهُ الْمَلِكُ وَبِالْفَرَسِ الَّذِي يَرْكَبُهُ الْمَلِكُ وَبِتَاجِ الْمُلْكِ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ. وَيُدْفَعُ اللِبَاسُ وَالْفَرَسُ لِرَجُلٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَلِكِ الأَشْرَافِ وَيُلْبِسُونَ الرَّجُلَ الَّذِي سُرَّ الْمَلِكُ بِأَنَ يُكْرِمَهُ وَيُرَكِبُونَهُ عَلَى الْفَرَسِ فِي سَاحَةِ الْمَدِينَةِ وَيُنَادُونَ قُدَّامَهُ: هَكَذَا يُصْنَعُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنَ يُكْرِمَهُ"[١٧]: فأمره الملك أن يصنع هكذا.

لقد شعر الملك بفضل مردخاي عليه وأراد إكرامه وتكريمه وإظهار عظمة ما فعله، فصنع طقس (طريقة) لتكريمه واستخدم أمور رمزية لإظهار كرامته: فألبسه ثيابه ووضع تاجه عليه، وصنع احتفال (ترتيب) رمزي بأن يلبسه الأشراف ملابس الملك ويضعون التاج على رأسه ويركبوه على فرس الملك ويسيرون به في ساحة المدينة وينادون (إعلان) بصوت عالي: هكذا يصنع للرجل الذي سر الملك أن يكرمه.

---

[١٥] مزمور ٣٧: ٤

[١٦] سفر أستير ٦: ٦

[١٧] سفر أستير ٦: ٧- ١١

ونحن ماذا نفعل مع (الله) إذا أردنا إكرامه لعظيم صنيعه معنا؟

وماذا نفعل كلما أردنا أن نقدم له عبادة تظهر مجده؟

قد تعجز كلماتنا ولكننا بالطقس نستطيع، فنستخدم أمور رمزية تعبر عنا كمن يقدم هديه تعبر عن شكره ومحبته لمحبوبه، ونصنع احتفال رمزي يعبر عن فرحتنا به ويبين موقفنا منه واتجاهنا من نحوه ويوضح عمق علاقتنا به، ونقول له كلمات تظهر مشاعرنا من نحوه ورؤيتنا له وعقيدتنا فيه، ونقول كل ذلك بصوت عالي في وسط الكنيسة ليسمعها الجميع، وننظم كلماتنا في شعر ونغنيها بلحن وإيقاع.

الطقس لغة عبادة روحية، وفيها نستخدم أشياء رمزية، وإجراءات رمزية، وكلمات مُلَّحنة لتُعبِّر عما نشعر به تجاه الله، فحينما نريد أن نظهر إكرامنا لله عند قراءة كلمته في القداس، يبخر الكاهن ويطلق البخور الذي يعبِّر عن إكرامنا لله ولإنجيله، ويرفع الشماس الإنجيل عاليا فوق الرأس، وتصنع زفة إكرام للإنجيل حول المذبح ثم يصلي الكاهن أوشية الإنجيل (طلبة من أجل الفهم)، ويهتف الخورس مهللاً بلحن "هليلويا" ترحيبًا بالرب الحاضر وسطنا بكلمته، وتضاء الأنوار ويقرأ الإنجيل بلحن جميل، والشعب يقف احترامًا ويصغي بإنصات.

الطقس لغة قوية للتعبير عن اختباراتنا الروحية، إنها لغة المحبة والتي تستخدم مفردات لفظية وغير لفظية، أنها لغة المشاعر التي تعجز الكلمات التعبير عنها، أنها لغة الروحيات التي لا تدرك عقليًا.

يفهم الله طقوسنا ولغتنا الرمزية، ولكن من المؤسف أننا لا نفهم لغتنا الطقسية، ونقول ولا نفهم ما نقوله، فكيف نعبر لله عما في قلوبنا؟! نحتاج أن نفهم مفردات لغة صلاتنا ورموزها لنحسن تواصلنا مع الله الذي نحبه.

الرموز لغة عبادتنا:

كيف يمكن أن يتواصل طرفان ويتحاورا دون حوار مع بعضهم البعض؟! وكيف يتحاورا بدون لغة مشتركة يستطيعان من خلالها فهم رسالة كل واحد للآخر.

اللغة لها أشكال منها اللفظي أي المنطوقة، ومنها غير اللفظية أي التعبيرات غير المنطوقة، ونحن في تواصلنا مع الآخرين نستخدم أكثر من طريقة للتعبير حتى نضمن فهم الآخر لما نعبِّر عنه فيتحقق اللقاء ويتم الوصال، فنحن نعبِّر عن أنفسنا بكلمات مفهومة وأقوال متداولة وبنبرات صوتية مسموعة، وتعبيرات جسمية بالوجه واليدين، وقد نحتاج إلي تعبيرات قوية فنعبِّر بحركة الجسم كله كالوقوف أو الإنحناء أو الاقتراب أو الابتعاد أو التلامس، وحتى في كلامنا نستخدم الكثير من الأمثلة والتشبيهات والاستعارات لنحاول أن نجعل كلامنا مفهومًا أكثر ويسهل علي المتلقي استيعابه بحسب درجة ثقافته.

إن كانت اللغة هي أساس التواصل ، فما هي اللغة التي نتواصل بها مع الله ؟ وكيف يكلمنا الله كي نفهم تدبيره ونلتقي به ؟ وكيف نعبر عن أنفسنا وعن أحاسيسنا واختباراتنا الروحية لنتواصل معه؟

حينما أراد الله الحديث مع موسي ناداه من خلال "عليقة مشتعلة ولا تحترق" فكانت العليقة

ايقونة(اظهر بها حضوره ولخص رسالته بطريقة رمزية، و "منعه من الاقتراب منها .. وطلب منه خلع نعليه" فمن خلال هذا الفعل الطقسي هيأه لقداسة اللقاء وأشعره بمدي رهبته، وتكلم الله بصوت مسموع وبكلمات مفهومة.

وتحاور موسى معه فتكلم بكل مكنون قلبه، وعبر عن مشاعره وموقفه من لقيا الله، فأظهر رعبه بأن غطي وجهه، وأظهر طاعته فخلع نعليه ولم يقترب تقديسًا له.

هكذا في لقاء الله في القداس الإلهي، إذ أراد الله أن ينقل لنا نعمته العظيمة، وأن ننال سر شركته، وأن يحيا فينا ونحيا فيه، أعطانا هذا السر من خلال: كلمات مسموعة، وأشياء مرئية، وحركات طقسية نشارك فيها. ونحن إذ نريد أن نعبِّر عن تجاوبنا معه ورغبة قلوبنا في تقبُّل نعمته هذه نُعلن عن ذلك من خلال صلواتنا وألحاننا، ومن خلال تقدماتنا، ومن خلال مطانياتنا.

فإن كانت لغة العبادة لغة رمزية وإجراءات طقسية فهي لغة مُلهمة من الروح القدس، فالرموز والطقوس هما الإطار الذي من خلاله نستطيع أن نتواصل مع الله فنقبل نعمته ونقدم له عبادتنا، فالروح يكلمنا من خلال آيات للوعي والفهم... ومن خلال أشياء للتأمل والتعمق... ومن خلال حركات طقسية للمشاركة والاتصال.

ولأننا لا نعرف ما نتكلم به مع الله؛ فالروح الذي يشفع فينا يساعدنا أن نعبر عن أعماق أنفسنا من خلال الرموز، فالأشياء التي نستخدمها في العبادة تمثلنا وتمثل حياتنا أمام الله فنحن "خبز" الله، ونحن "أعمدة" في هيكل الله، ونحن "شموع" تنير عالم الله.. الخ، ومن خلال نغمات الألحان وعبارات التسبيح نخرج أعمق ما في قلوبنا من مشاعر وأحاسيس فتصير ذبيحة تسبيح حية مرضية لدي الله، ومن خلال انطرحنا أمامه وتقبيلنا له نتصل به ونتواصل معه.

الخلاصة: العبادة الروحية تحتاج إلى لغة خاصة، ولغة عبادتنا ترتكز على ثلاثة طرق في التعبير وفي التواصل: أشياء رمزية، وحركات طقسية، وكلمات كتابية.

✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳

في البرية، حينما سأل أخ شيخ: ما الذي يجب أن نفعله ههنا يا أبي؟

أجابه: نحن نُراقِب الذهن!

الصلاة من هذا المنظور هي الارتقاء إلى برج المراقبة حيث تتضح الرؤية، وتنكشف الخبايا والتحرُّكات، للنوايا.

يجب أن نتعامل مع الصلاة من زاوية الفرز والإفراز لصيد كل ما يتسلل إلينا من روح العالم وقَيَمه، دون هوادة، ولا مُبالغة.

(الراهب سير افيم البراموسي)

القديس ديونسيوس السكندري البطريرك الرابع عشر

(معلم الكنيسة الجامعة)

(٢٠٠ - ٢٦٤)

إعداد: ماجد كامل

قصة ولادته:-

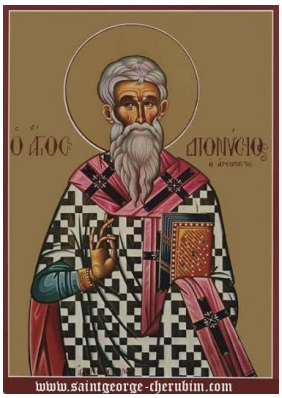

ولد القديس ديونسيوس في عام ٢٠٠م تقريبًا من أبوين وثنيين، أهتم والده بتعليمه كل علوم الصابئة (عابدي الكواكب)، وتروي قصة إيمانه بالمسيحية أنه تقابل ذات يوم مع امرأة عجوز تبيع الكتب القديمة، ورأي معها رسالة من رسائل معلمنا القديس بولس الرسول، فلما أُعجب بها جدًا رجع إليها وطلب منها بقية رسائل بولس الرسول، فقالت له لقد وجدت هذه الأوراق ضمن كتب آبائي، ولكن إذا أردت الحصول علي الكتاب كاملًا اذهب إلي الكنيسة وهناك تحصل عليه، فتوجه لمقابلة البابا ديمتريوس الكرام البطريرك الثاني عشر، فأخذه وعلَّمه وأرشده عن الإيمان المسيحي ثم عمَّده علي الإيمان المسيحي. ثم ألتحق بمدرسة الإسكندرية اللاهوتية في الفترة التي كان فيها العلامة "أوريجانوس" هو مدير المدرسة، فأقتبس من معلمه شجاعته وفضائله وولعه بالقراءة والإطلاع. ثم تمت رسامته شماسًا فكاهنًا فمعلمًا في مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، ومن القصص الطريفة المروية عنه أنه ذات مرة طلب منه أحد أصدقائه من الكهنة أن يتوقف علي قراءة كُتب الهراطقة، فبعث برسالة إلي أحد أصدقائه قال له فيها:

"ترددت في مطالعة كتب الهراطقة، وكان الباعث علي ترددي ما قاله لي أحد الكهنة من أن قراءتي لتلك الكُتب قد تشوش أفكاري وتدخل الشك إلي قلبي، ولكني رأيت في أحد الليالي رؤيا شجعتني علي القراءة إذ قد سمعت صوتًا يقول لي: "اِقرأ كل ما يقع تحت عينيك فأنت قادر أن تميز وأن تتمسك بما هو حسن، وتذكر أن القراءة كانت السبب المباشر في اعتناقك المسيحية" فلما صحوت من نومي أطعت الرؤيا. وبعد نياحة البابا ياروكلاس تولي القديس ديونسيوس الكرسي المرقسي، وكان ذلك في ٢٨ ديسمبر ٢٤٦ م، وبعد فترة تولي الإمبراطور "داكيوس" عرش الإمبراطورية وكان كارهًا للمسيحين فاضطهدهم اضطهادًا شديدًا، وقبض علي البابا ديونسيوس ونفوه إلي منطقة مريوط، وفي الطريق قابله أحد أبنائه وعلم منه بقصة نفيه، وكان متوجهًا إلي حفل زفاف، فأعلن في الحفل عن القبض

علي البابا ديونسيوس ونفيه، فقرر جميع الحضور إنقاذ باباهم، فخرجوا إلي المنفي وهاجموه، وخلَّصوا البابا من الأسر، وبعدها رجوه أن يعتزل قليلًا في الصحراء فحياته ليست ملكًا له وحده، فاختار من بينهم رجلين فاضلين وأعتزل فترة في الصحراء، وفي الصحراء بعث برسائل تعزية وتشجيع إلي جميع المؤمنين، كما بعث برسالة إلي العلامة أوريجانوس أستاذه ومعلمه. وكان من أبرز شهداء هذه الفترة الشهيد العظيم فيلوباتير مرقوريوس.

وبعد وفاة الإمبراطور "داكيوس" عاد الهدوء قليلًا إلي الكنيسة، فقام البابا بجولة رعوية فذهب إلي مدينة الفيوم، وكان أسقفها يؤمن ببدعة الألف سنة، فعقد مجمع لمدة ثلاثة أيام ناقش فيها الأسقف في رأيه حتي أقتنع وعاد إلي الإيمان المستقيم، وبعدها بعث برسالة إلي شعب الفيوم قال فيها: (إنني أحب أسقف الفيوم وأمتدحه لأنه يسعي جهده للوقوف علي الحقيقة، وأمتدحه أيضا للترانيم الروحية التي وضعها ليترنم بها الشعب في حفلاته، غير أن محبتني للحق تفوق محبتي للأسقف، لذلك بادرت إلي إدحاض بدعته لإرشاده وإنارته)، وبعدها بعث برسالة إلي أسقف أنطاكية ينصحه فيها بقبول توبة العائدين من الاضطهاد إلي الإيمان المسيحي. وفي عام ٢٥٧ م ثار اضطهاد فالريان فالقي والي مصر القبض علي البابا ديوسيوس وجلده وطلب منه أن يسجد للأوثان فأجابه نحن لا نسجد إلا للسيد المسيح، فكلَّمه بالحسني لكي يذعن، فلما لم يستجب أخذ جماعة من المسيحين وقتلهم أمامه فلما رآه مصرًا علي موقفه ألقاه في السجن، ثم أُعيد ليحكم عليه بالموت، ولكن الوالي عَدَل عن قتله ونفاه إلي ليبيا. وقبل أن ينفيه وجَّه له تهمة جديدة هي "بلغنا أنك تنفرد وتصلي "فرد عليه البابا ديونسيوس" نحن المسيحيون لا نترك صلاتنا ليلًا ونهارًا " ثم ألتفت إلي الشعب وقال لهم:

"امضوا وصلوا، وأنا وإن كنت غائبًا عنكم بالجسد فإني حاضر بالروح، فأغتاظ الملك جدًا من الرد وقام بنفيه إلي ليبيا، وفي عهد الوالي الذي يليه عفا عنه وأعاده إلي كرسيه كما ورد في سنكسار ٣ توت أنه إنعقد مجمع في مدينة الإسكندرية عام ٢٤٣ م لمناقشة بدعة نادى البعض بموت النفس مع الجسد، وفي يوم القيامة تقوم معه، فعقد مجمع برئاسة البابا ديونسيوس لمناقشة هذه البدعة، فقرر البابا ديونسيوس حرمهم وكتب مقالة قال فيها: إن محبة الله للبشر عظيمة جدًا، وأن النفس لا تموت، ولا تضمحل بل هي باقية بقاء الملائكة والشياطين، لأنها روحانية لا تقبل تحولًا ولا فسادًا، وأن النفس بعد خروجها من الجسد ترجع إلي الله الذي أعطاها حيث تبقي في مواضع الانتظار حسب استحقاقها، إلي يوم القيامة عندما يبوق في البوق الأخير، فتقوم الأجساد بكلمة الرب، وتتحد كل نفس بجسدها وتنال منه، أما النعيم أو العذاب الذي لا ينتهي، كما قاوم أيضًا بدعة سابيليوس الذي ادَّعي أن الله الآب نفسه هو الذي كفَّر عن خطايانا، وأخيرًا قاوم بدعة "بولس الميساطي أسقف أنطاكية المخلوع الذي نادي بأن يسوع المسيح بشر مخلوق، وهو مجرد نبي من الأنبياء .

نماذج من أقواله وكتاباته:-

١- ما أحوجنا إلي صلاة مستمرة حتي نصل إلي نور حقيقي يفتح أذهاننا إلي كل ما هو فوق.

٢- لقد فحصت أعمال وتقاليد الهراطقة، مدنسًا عقلي وقتًا قصيرًا بآرائهم الكريهة، ولكنني حصلت علي هذه الفائدة منهم، وهي أني فندت آرائهم بنفسي، وازددت كرهًا لهم .

٣- ولكن أعلموا الآن يا إخوتي أن جميع الكنائس في الشرق والعالم التي كانت منقسمة قد اتَّحدت كلمتها. وأصبح جميع الأساقفة في كل مكان برأي واحد مغتبطين جدًا بالسلام الذي تحقق فوق ما كان منتظرًا.

٤- نص الرسالة التي بعثها إلي معلمه أوريجانوس "إن الله مصدر الحكمة هو وحده الذي يعرف مقدار ما نعانيه من آلام، ولما كانت الحكمة الإلهية تفوق مدارك البشر فما علينا إلا أن نرضخ ونحتمل هذه الآلام، فما كانت الآلام إلا وسيلة لصقل نفوسنا وتفربنا من الله. فلنتخذ لنا مثالًا للآلام التي كابدها المخلِّص ونقتدي بها في معاملة خصومنا برفق ولين".

٥- في تفسير سفر الرؤيا قال: "لقد رفض البعض ممن سبقونا السفر وتحاشوه كليًا، منتقدينه أصحاحًا أصحاح، ومدّعين إنه بلا معنى علي أنني لم أتجاسر أن أرفض السفر لأن الكثيرين من الإخوة كانوا يجلونه جدًا ولكنني أعتبر أنه فوق إدراكي، وأنه في كل جزء معاني عجيبة جدًا مختفية، إنني لا أريد أن أقيسها أو أحكم عليها بعقلي، بل اعتبرها أعلي من إدراكي، تاركًا مجالًا أوسع للإيمان، ولست أرفض ما لا أدركه، بل بالعكس أتعجب لأنني لا أفهمه".

✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳✳

لهذا السبب صرت مسيحياً

سُئل الدكتور ستيوارت هولدن الجرَّاح البريطاني: "كيف صرت مسيحيًا؟" فروى القصة التالية:

قبل أن أحضر إلى مصر عشت في جزيرة مالطة مع مجموعة من الأطباء، وكان يخدمنا شاب مسيحي يشهد دومًا للسيد المسيح، وكنت أتضايق منه أنا وأصدقائي. كنا نسئ إليه كثيرًا، أما هو فلم يبالِ، بل يحتمل كل شيء ببشاشة.

في إحدى الليالي دخلت "الشقة" فوجدته راكعًا يصلي، وكان منهمكًا جدًا في صلاته. إذ اغتظت منه خلعت الحذاءboot ، وكان ثقيلًا جدًا بسبب الوحل الذي لصق به، إذ كان الجو ممطرًا .قذفته بإحدى الحذاءين boots على خده الأيمن وبالآخر على خده الأيسر بلا سبب، أما هو فلم يتحرك قط، بل استمر في صلاته كأن شيئًا لم يحدث.

دخلت حجرتي ونمت. في الصباح قمت فوجدته قد أخذ الحذاءين اللذين ألقيتهما على وجهه وقام بتنظيفهما وتلميعهما ووضعهما في مكانهما.

تألمت من نفسي جدًا بسبب قسوتي، وأحببت مسيحه وآمنت به!

هب لي يا رب القلب المتسع حبًا، فأشهد لاتساع قلبك يا إلهي، وأحمل أيقونة سمواتك في داخلي!

العالم متعطش إلى الحب، لا إلى حوار عقلاني جاف لإثبات وجودك، وتأكيد الأبدية!

أحد التجربة على الجبل

الأب أنتوني م. كونيارس

يقول إنجيل مرقس: «**وللوقت أخرجه الروح إلى البريَّة، وكان هناك في البريَّة أربعين يومًا يُجرَّب من الشيطان، وكان مع الوحوش، وصارت الملائكة تخدمه**».

الشيطان عدوٌّ للإنسان، مُخادعٌ مُحتال، يلعب دائمًا دور الثعلب الماكِر ليوقع الفريسة في شباكه. وكثيرون لم ينتبهوا لخداعه، فراحوا في سباتٍ عميق، وفي سباتهم وعدم يقظتهم على خلاص نفوسهم، وفيما هم نيام، ألقى العدُو بذور زوانه في قلوبهم، فأثمر الزوان ثمارًا مُرَّة، مَرمَرَت حياتهم، وانتزعت الفرحة من نفوسهم، وهَدَمَت سلامهم وعفَّتهم.

وهكذا الحال مع جميع الذين تجاهلوا حروب العدو، وأغمضوا عيونهم عن خِططه الماكرة، وأهملوا كلمة الله، ووسائط النِّعمة، واستهانوا بروح الجديَّة في حياتهم الرُّوحيَّة. لم ينتبهوا لما يحدث من حولهم، وتغافلوا عن مُخطَّطات العدُو الخبيث لإسقاطهم، وأخيرًا لم يستفيقوا لأنفسهم إلاَّ بعد أن تجرَّعوا مرارة السقوط، وذاقوا علقم الشُّعور بالذَّنب.

طريق الغلبة:

هنا في تجارب الشيطان للسيِّد المسيح على الجبل، أوضح لنا الرب يسوع أنَّ الشيطان شخصيَّة حقيقيَّة؛ يُحارِب ويُراوغ، ويُحاوِر ويُداوِر لعلَّه يظفر بالنفس التي يُخطِّط لإسقاطها في فخاخه.

ومن تلك الحادثة نستمدُّ خبرة جديدة في طُرُق النصرة على العدو وأفكاره بكلمة الله. والربُّ في غلبته على العدو قد رسم لنا طريق الغلبة على حِيَل المُخادع، كما أنَّ الإنجيل يحثنا على الدوام أن نكون في حالة صحو ويقظة وانتباه وسهر روحي، حتى لا نُؤخَذ على غرَّة من العدو الذي يرغب في تضليل الغافلين وإفساد أذهان المؤمنين: «**ولكنَّني أخاف أنَّه كما خَدَعَت الحيَّة (الشيطان) حواء بمكرها، هكذا تُفسَد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح**» (**٢كو١١: ٣**).

الشيطان كائنٌ حقيقيٌّ موجود:

قال شخصٌ ما: "يقول لنا بعض رجال الدِّين إنَّ الشيطان يُقيم بيننا ويمشي على الأرض؛ ومن جهتي فأنا أجد صعوبة في تصديق هذا الكلام، وأتصوَّره غير حقيقي".

مِن أكبر حِيَل الشيطان هو أن يُقنعنا أنَّه غير موجود،مثل الحيوانات التي تتظاهر بالموت عندما يأتي عدوٌّ نحوها. هذه حيلة ماهرة للشيطان، لأنَّه إن كان حقًّا غير موجود، فما هو لزوم

مُقاومته والاحتراس منه؟

الشيطان هو كائن حقيقي، ويظهر عمله بانتظام غالبًا في التمثيليَّات الخليعة التي تُعرَض في التلفاز. وأفعال الشياطين لها أسماء جديدة في هذه الأيَّام: الأفلام العارية الفاضحة، الشذوذ الجنسي، العهارة، المخدِّرات، الإدمان، الكحوليَّات، التدخين، الحقد، الطمع، الغيرة، الحسد... إلخ.

الرب يسوع نفسه صارع الشيطان أثناء صومه خلال الأربعين يومًا في البريَّة، ولذلك فالرب علَّمنا أن نقول في الصلاة الربَّانيَّة: «**لكن نجِّنا من الشرِّير**» **(مت٦: ١٣)**. والشيطان وقف ضدَّ إسرائيل في القديم (١أخ٢١: ١)، والرب كان ينتهر الشيطان، والرب رأى الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء (لو١٠: ١٨)، والشيطان كائنٌ عنيف، فعندما تسلَّط على إنسان، جعل مسكنه في القبور، حتى لم يقدر أحد أن يقف في طريقه (راجع مر٥: ١-٢٠)، ولئلا يظن أحد أنَّ سلطان الشيطان هذا قد انتهى، اِسمع شهادة شخص مُدمِن: "لكَ أن تُسمِّي حالتي كما تشاء: جنونًا، أو ضلالاً، أو مرضًا عقليًّا؛ ولكن بالنِّسبة لي كان رُعبًا. فقد عانيتُ من التسلُّط الشيطاني الذي ذكره الكتاب المُقدَّس ولمدَّة عامين، كما لو كان تملَّكني شيطان كورة الجدريِّين، إلى أن افتقدني الرب وشفاني".

عمل الشيطان المُدمِّر للنفوس:

كَتَب ملكولم موجيريدج يقول: ".. أمَّا بالنِّسبة لي، فقد وجدتُ من الأسهل أن أُومن بالشيطان من أن أُومن بالله، ويا للحسرة! فقد كان السبب هو شيء واحد، لأنَّه يُهيِّئ لي الملذات كما أشاء". لا أظن أنَّ أحدًا تنقصه المعرفة في أن يُلاحظ، وخصوصًا في العقود الثلاثة الأخيرة، حضور الشيطان الكثيف في العالم، وهو يجذب الناس إلى أسفل إلى الخطيَّة، وبقوَّة أعظم من الجاذبيَّة الأرضيَّة، بدلاً من أن يستقيم الناس ويرتفعوا إلى أعلى مثل النباتات التي تزهو إلى فوق، نحو الشمس. أَمَا نرى بوضوح عمل الشيطان الهدَّام والمُدمِّر، والذي يحشد كما في حريق هائل الضائعين في الماضي والحاضر والمستقبل، في النار التي لا تُطفأ؟ مَن هو الشَّخص الذي لا يرى العالم في سواد وتهتُّك هذه الأيَّام وفي كل لحظة: «**مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث، مشحونين حسدًا وقتلاً وخصامًا ومكرًا وسوءًا، نمَّامين مُفترين، مُبغِضين لله، ثالبين مُتعظِّمين مُدَّعين، مُبتدعين شرورًا، غير طائعين للوالدين، بلا فهم ولا عهد ولا حنوٍّ ولا رضًى ولا رحمة. الذين إذ عرفوا حُكم الله أنَّ الذين يفعلون مثل هذه يستوجبون الموت (الأبدي)، لا يفعلونها فقط، بل أيضًا يُسرُّون بالذين يعملون**» **(رو١: ١٨-٣٢)**، حتى يظهر العالم وكأنَّ الله قد اختفى منه، وقد ترك إبليس ليحتلَّ عالمًا فارغًا".

الشيطان يتنكَّر:

ليس أنَّ الشيطان هو مُخادِع فقط، بل وذكي أيضًا، فهو يتظاهر بشكل ملاك نور (٢كو١١: ١٤). وطُرُق

الشيطان وصُوَره صارت تُرسَم وتوصَف وتُعرَض في المجلاَّت المُخادِعة الهابطة القذرة، في التمثيليَّات، في الأفلام، في التلفاز. تُظهِر الأفلام الفاضحة أنَّ الزنا أمرٌ جميلٌ ومُسلٍّ، ولكن وصيَّة الله هي **لا تزنِ**. خذ مثلاً إدمان الكحوليَّات، فالشيطان يخدعنا بأن يُصوِّر لنا أنَّ الذين يشربون الخمر هم عِليَة القوم والأغنياء، كي يقضوا سهرات مُمتعة وسط تصفيق الكؤوس؛ ولكن لا يتكلَّم الشيطان عن الحوادث التي تتسبَّب من السُكْر وعن موت الأحداث ودمار الشباب وهلاكهم والمشاكل الأُسريَّة والمشاكل الاجتماعيَّة والفقر الذي يتسبَّب عن تعاطِي الخمور.

من المُتَّبَع في البلاد القُطبيَّة الباردة أنَّ الصيَّادين يجتهدون لاصطياد الحيوانات ذات الفرو الثقيل ليستخدموه في تدفئة أجسادهم. أمَّا الطريقة التي يصطادون بها تلك الحيوانات، والتي قد تكون مُتوحِّشة، فهي طريقة خادعة جدًّا. يقوم الصيَّادون بغمس نصل آلات حادَّة كالسكاكين والسيوف والخناجر في كميَّات ضخمة من الدم، هذه التي تُغطِّي تمامًا النَّصل الحاد، ثم يحفرون في الأرض، ويقومون بتثبيت تلك الآلات رأسيًّا في الحُفَر، على أن تكون نصالها الحادَّة المُغطَّاة بالدم إلى أعلى فوق سطح الأرض، ومقابضها إلى أسفل مدفونة في الأرض، ثمَّ يختفي الصيَّادون.

عندما تنظُر الحيوانات مِن على بُعد شكل الدم وتشم رائحته، فهي تعدو إليه مُسرِعة، وتستمر في أكل الدم المُتجمِّد وهي لا تدري أنَّها بعد أن انتهت مِن أكله، فقد انغَرَسَت الآلات الحادَّة في حلقها، وأصبح الدم أكثر دفئًا وحلاوة، ولم تكن تلك الحيوانات العجماوات تدري أنَّها تقتُل نفسها. وما هي ساعات معدودات إلاَّ ويجد الصيَّادون الحيوانات مُلقاة على الأرض، ليبدأوا في سلخ جلودها.

أليس هذا ما يفعله بنا الشيطان المُحتال عندما يُلذِّذ لنا حلاوة الخطيَّة من الخارج، وهي من داخلها سُم الحيَّات: «**أنعم من الزُّبدة فمه، وقلبه قِتالٌ. ألين من الزَّيت كلماته، وهي سيوف مسلولة**» **(مز٥٥: ٢١)**.

نعم، هذا ما يفعله العدُو مع النفس المخدوعة بلذَّة الخطيَّة، إذ بينما تكون النفس مُنغمِسة في اللَّهو، مُتلذِّذة بشهوات الجسد، تكون في ذات الوقت واقعة في قبضة إبليس، الذي بسهامه الحادَّة يُدمي قلب ضحاياه، ويستنزف طاقتها الروحيَّة والجسديَّة.. ومع الأيَّام، ومع استمرار الخاطئ في السقوط، يتحوَّل إلى شخص مُحطَّم يائس بائس، فاقد الأمل في الحياة، وروحه المعنويَّة في الحضيض، وعندئذ يُحكِم إبليس، قبضته على الإنسان ليملك عليه بالكامل، وأخيرًا يستولي على النفس روح القلق والإحباط والإحساس بالضياع. وفي كلّ ذلك لا تدري النفس أنَّها ساذجة مخدوعة ساقطة فريسة في يد العدو، وأنَّ هذا السقوط لابدَّ أن يكون مُدمِّرًا للحياة، إذ يُدمِّر في الداخل روح النقاوة والتعفُّف، ويهدم البنيان الرُّوحي، مع خسران المجد الأبدي وميراث البنين، هذا بجانب الانفصال عن الله الذي يُؤدِّي إلى الموت الرُّوحي والهلاك الأبدي.

كيف نُقاوِم الشيطان:

بعض المعارك الضارية على الأرض هي تلك التي توجد داخل أنفسنا، وساحة الحرب هي الفكر والقلب، ونحن نشنُّ الحرب وننقضُّ على الشرّير والأفكار الشرّيرة. إلاَّ أنَّه مع ذلك يوجد ينبوعٌ فائض داخلنا، ومعونة عظيمة في ملكوت الله الذي هو أيضًا داخلنا. يقول القدّيس يوحنا الإنجيلي: **«أنتُم من الله أيُّها الأولاد، وقد غلبتموهم، لأنَّ الذي فيكم أعظم من الذي في العالَم» (١يو٤: ٤)**. مَن هو هذا الذي فينا الذي هو أعظم من العالم؟ من يكون غير الله؟ الآب والابن والرُوح القُدُس **«حينما يحفظ القويُّ (الشيطان) داره مُتسلِّحًا، تكون أمواله (النفوس التي أسرها وقيَّدها بسلطانه) في أمان؛ ولكن متى جاء مَن هو أقوى منه (الرب يسوع) فإنَّ يغلبه، وينزع سلاحه الكامل الذي اتَّكل عليه ويُوزّع غنائمه» (لو١١: ٢١و٢٢)**.

نحن أتباع المسيح وخاصَّته، وهذا مِن خلال سرِّ التناول الذي بواسطته يسري دم المسيح الخلاصي في عروقنا، وبحضور الرب القوي والفعلي داخلنا، تصير لنا القوَّة والسلطان أن نأمر الشيطان أن يذهب عنَّا بالخلاص القوي الذي لاسم ربّنا يسوع المسيح، هذا الذي يُرعب الشياطين: "اِذهب عنّي يا شيطان، أنا أجحدك وأتبرَّأ منك وأكرهك وأرفُضك. اِرفَع يدك عنّي فأنا لا أخصُّك وأنت لستَ لي، إنَّني لفاديَّ ومُخلِّصي الرب يسوع".

أقوى سلاح ضدَّ الشيطان:

أقوى سلاح علينا أن نلبسه هو الصلاة، وعندما نتوقَّف عن الصلاة، فنحن . بالحرف الواحد . نفسح مجالاً للشيطان، ونفتح له الأبواب ليدخل. ولكن عندما نُصلّي، فإنَّ الشيطان يلوذ بالفرار مثلما يهرب اللِّص من المنزل عندما يسمع الأصوات من الداخل. **ما أحلى أصوات الصلاة والترانيم والتسابيح!** إنَّها تُرهب الشياطين.

عودة بنا إلى شهادة الشَّخص السكِّير التي سردناها من قبل، هذا الذي كانت قد استحوذت عليه جحافل الشَّر، يشهد ويقول: "إبَّان ذلك الوقت الذي كنتُ فيه مُستعبدًا للشَّراب، أخذتُ أقرأ وأقرأ في الكتاب المُقدَّس باجتهاد وأعيد وأزيد. كما كنتُ أُصلّي ست أو سبع مرَّات كل يوم. وواظبتُ على حضور الكنيسة كل أحد، ولم أتوانَ عن حضور الاجتماعات الروحيَّة؛ وكنتُ، وأقول الصِّدق في المسيح، أغصب نفسي لإكمال هذا الرجيم (النظام) الرُّوحي، لأنَّني كنتُ أشعُر أنَّني عندما أفتُر أو أتوانى عن هذه المُمارسات، كان يُعاودني الشيطان ومعه عاداتي الرديئة السابقة. كانت هذه الأنشطة الروحيَّة بالنِّسبة لي هي البديل الوحيد للجحيم: **«متى خرج الرُّوح النجس من الإنسان، يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلُب راحة، وإذ لا يجد يقول: "أرجع إلى بيتي الذي خرجتُ منه"، فيأتي ويجده مكنوسًا مُزيَّنًا، ثمَّ يذهب ويأخذ سبعة أرواح أُخَر أشرَّ منه، فتدخُل وتسكُن هناك، فتصير أواخِر ذلك الإنسان أشرَّ مِن أوائله!» (لو١١: ٢٤-٢٦)**

ويستمر هذا الشخص في تقديم شهادته فيقول: حدث ذات مرَّة أن شعرتُ بوجود أرواح شرّيرة في الحجرة، فبإيمان واثق استجمعتُ كل قوَّتي وصحتُ بصوت عالٍ: "**باسم يسوع المسيح** أنا آمركم أن تُغادروا المكان وأن لا تعودوا إليه! فهَدَأت نفسي ورحتُ للوقت في نوم عميق ولذيذ لم أشعُر بمثله طول حياتي. ومنذ ذلك الوقت لم تُعاودني الأرواح الشرّيرة ولا شهوة الشَّراب. أعترف أنَّني مثل أي إنسان تجتازني تجارب كثيرة، ولكن منذ ذلك الاختبار السابق لم تُعاودني الأرواح مرَّة أُخرى ولا الرَّغبة في العودة إلى الشَّراب".

هزيمة الشيطان:

الله لم يقتل الشيطان ولكن هزمه. توجد صورة توضيحيَّة منذ الكنيسة الأُولى تُحاول أن تشرح كيف حدث هذا. يُصوَّر الشيطان بشكل سمكة هائلة تلتهم كل إنسان ابتداء من آدم، وعندما أرادت السمكة أن تلتهم المسيح كإنسان مائت على الصليب، كان قد خفِيَ عن السمكة أنَّ هذه الطبيعة البشريَّة للمسيح كانت مُتَّحدة بطبيعة اللاهوت، لذلك عندما أراد الشيطان أن يلتهم تلك الطبيعة الإنسانيَّة التي ليسوع المسيح عند موته على الصليب، فإنَّ الطبيعة الإلهيَّة المُتَّحدة بالجسد ظَفَرَت بالشيطان وهزمته شرَّ هزيمة. وعلى ذلك، فإنَّ الموت والشيطان اللذين ابتلعا الجنس البشري، هما أنفسهما قد هُزما بواسطة موت المسيح وقيامته الظافرة المجيدة، الذي انتصر انتصارًا عظيمًا على الشيطان. إلاَّ أنَّ الشيطان مع ضعفه وهزيمته لم يستسلم بعد. وفي الواقع، وبحسب الإنجيل، فعندما ينتهي الزمان ويأتي يوم الدينونة، فإنَّ الشيطان يلفظ ألفاظه الأخيرة في المعركة النهائيَّة، ويُسلَّم بعد ذلك ليُعذَّب في بحيرة النار والكبريت.

لذلك فالنصرة تبقى نصرتنا إن التصقنا بمصدر القُوَّة: **المسيح الظافِر القائم من الأموات**. وفي كلِّ يوم يُعطينا المسيح القوَّة لنقهر هجمات الشرّير، ويومًا فيومًا يُمنطِقنا بسلاح البِر، وفي كلِّ تجربة نجده يمدُّنا بالطريق الصالح والوسيلة الناجعة، ويُؤكِّد لنا أنَّه لا يُمكن أن نُجرَّب فوق ما نحتمل.

وختام الأمر كلَّه: لابد من الالتصاق بالله في الصلاة، لا تُفارقك قراءة كلمة الله، تناوَل باستمرار، والتصق بالمسيح واحفظ وصاياه، وتعلَّق به «**لأنَّه يُوصي ملائكته بكَ لكي يحفظوكَ في كلِّ طُرُقك، على الأيدي يحملونك... لأنَّه تعلَّقَ بي أُنجّيه**» (مز٦١: ١٢-١٤)؛ هذا الذي أعطانا السلطان أن نُخرِج الشياطين باسمه (مر٣: ١٥؛ ١٦: ١٧). تأكَّد أنَّك إن كنتَ معه، فلن يقدر لصٌّ أن يخطفكَ مِن يد راعيكَ الصالِح والأمين.

ولكن اِحذر، فالشيطان كائن روحي، ووجوده أمرٌ مُحقَّق: «**فاخضعوا لله. قاوِموا إبليس فيهرب منكم. اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم**» **(يع٤: ٧)**.

العصر الجديد الحقيقي

منذ أن وطأ المسيح أرضنا، بدأ عصر جديد هو عصر المسيا. بمجيئه انبثق نور سماوي فأضاء ظلمة بني الإنسان: "الجالسون في الظلمة أشرق عليهم نور" (إش٩:٢)، هذا النور أحدث انقلابًا جديدًا في حياة الملايين من البشر على وجه البسيطة.

وبالنسبة للبشرية كان هذا هو يوم الفرح حيث تجلَّت فيه عظمة محبة الله وثراء النعمة وبهاء المجد وفخامة الميراث الأبدي.

هذا هو المخلِّص الذي على يده تمت المصالحة وتحققت على أصول ذبيحة إلهية راسخة. جاء كي يفتح باب الخلاص على مصراعيه أمام كل من يرغب في الخلاص. المسيح هو واهب الخلاص والحرية لبنيه المتمسكين به.

عدو الخير كل همه تحويل القلوب عن الحياة الأبدية، أما المُخلِّص فكل همه أن يجذب الجميع إلى تلك الحياة، بل هو يُعيد إحياء الموتى روحيًا من جديد حتى لا تخسر نصيبها الأبدي.

كلماته كلها أشعة مضيئة مشرقة تفتح باب الأمل أمام كل خاطئ حتى لا ييأس من حالته، بل يجد باب الله للرحمة والغفران مفتوحًا في كل وقت لاستقباله.

الله ليس عنده نفوس ضائعة مفقودة في زحمة الحياة، بل الكل محبوب عنده ومذخور له نعمة الخلاص، متى جاء الإنسان إليه متضعًا معترفًا بخطاياه راجيًا نعمة غفرانه وخلاصه.

بالاتضاع تكون النفس قابلة للتغيير والتجديد باستمرار، وكل تغيير يعني تحولاً أكثر ناحية البر والفضيلة واقتناء ثمار الروح. قبل المسيح سادت على عين الإنسان غشاوة الجهل، لكن بعدما جاء المسيح - نور العالم – انفتحت العيون لتبصر الطريق، لأن تعاليم الرب يسوع رفعت الغشاوة عن الأبصار.

قبول الله للإنسان نابع من قلب فائض بالرحمة والحب لبني البشر. والمحبة هي تاج وقمة والعطايا الموهوبة من الله للإنسان، وهي المفتاح الذي يجعلنا نتعرَّف على حقيقة قلب الله الأبوي، ويكشف مدى اشتياق الله لخلاص الإنسان، وهذا هو هدفه الذي تحقَّق بالفعل لكل من صدَّق المسيح، وآمن به، ولبى دعوته، وقبل نوره في حياته.

تعليم العالم عن رُقي البشرية وخلاصها من الشر هو مجرد مفهومات فكرية نظرية بلا قيمة عملية لأنها لم تخلِّص أحدًا من سطوة الخطية، أما تعليم المسيح والإيمان برسالته والعمل بوصيته فقد خلَّص نفوسًا بلا عدد حتى أشر الخطاة الذي جاء إلى المسيح تائبًا تغيَّرت حياته وأصبح إنسانًا جديدًا، وانعتقت نفسه من قيود الشر ولم يعد رازحًا تحت عبء الخطية الثقيل.

المواطنون الأقباط وصناعة الصحافة المصرية (٤)

د. رامي عطا صديق

الصحف الدينية
موضوعات روحية.. دراسات لاهوتية.. وثقافة قبطية
بدايات صحفية قوية نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين

الصحافة الدينية هي صحف في الأغلب الأعم مجلات، يتناول مضمونها موضوعات دينية شتى، ما بين أمور عقيدية ولاهوتية، ومقالات روحية، وموضوعات في الوعظ والإرشاد، بالإضافة إلى موضوعات دينية ذات طبيعة بحثية، وأخبار الكنيسة ومناسباتها، كما أن بعض هذه الصحف تهتم بتقديم موضوعات ثقافية واجتماعية، إلى جانب المادة الدينية، لا سيما وأن الدين يرتبط بمجمل حياة الإنسان وتفاعلاته المختلفة وعلاقاته المتنوعة داخل المجتمع.

وفي الغالب فإنه يقوم على أمر الصحف الدينية المسيحية مجموعة من الخُدّام، من الإكليروس والعلمانيين، دون أن يكونوا بالضرورة محترفين لمهنة الصحافة، إذ يعتبرونها أحد وسائل التعليم والإرشاد والوعظ، وإن كان من خلال الكتابة والصحافة، كما يعتبرونها وسيلة لنشر البحوث الدينية والمقالات الروحية، ما يرتقي بثقافة المسيحيين الدينية، وهي من ثم تُمثل نوعًا من الخدمة الدينية لأبناء الدين وأتباعه، الذين استقبلوا هذه الصحف باهتمام واضح وإجلال كبير.

وقد بدأت صحف الأقباط الأرثوذوكس الدينية في الظهور منذ تسعينيات القرن التاسع عشر. حيث عُد هذا الأمر في ذلك الوقت نوعًا من الحرية الدينية والحرية الشخصية والمساواة بين الأقباط والمسلمين، فقد تمتع الأقباط بشيء من الحرية الدينية مع بداية حكم محمد علي لمصر سنة ١٨٠٥م[i].

وعندما أرخ يوسف منقريوس- ناظر مدرسة الأقباط الإكليريكية (١٨٩٣-١٩١٨م) لحالة الأقباط في الفترة الممتدة من سنة ١٨٩٣م إلى سنة ١٩١٢م، فإنه يقول "نظرًا للراحة والحرية الدينية والحرية الشخصية والمساواة بينهم (يقصد الأقباط) وبين المسلمين فحدِّث ولا حرج، فقد نالوا من ذلك قسطًا لم يتمتعوا بمثله إلا في زمان استقلالهم قبل دخول الأعاجم واليونان والرومان وانتزاع الحكم من أيديهم، فهم الآن يؤدون شعائر دينهم بكل حرية، بل ويعلّمون ديانتهم لأولادهم في نفس المدارس الأميرية وعلى نفقة الحكومة كالديانة الإسلامية سواء بسواء، ويبشرون بدينهم وينشرونه جهارًا ليلًا ونهارًا، الأمر الذي كانوا لا يحلمون به. وفضلًا عن ذلك فقد أخذوا يصدرون الكتب والمجلات الدينية لبث أنوار النصرانية بكل مجاهرة، وهم آمنون مطمئنون، بل أن بعض المرسلين الأجانب قد نشروا

المجلات والكتب العديدة في مناظرة المسلمين بالتي هي أحسن، والمسلمون يقرأون هذه المناظرات ولا تثور ثائرة غضبهم أو يغلي دم التعصب الديني في عروقهم أو تتوتر أعصابهم"[ii].

على هذا النحو يمكننا القول إن المجتمع المصري آنذاك كان في ظرف تاريخي يسمح له بظهور صحف دينية مسيحية، دون ثورة الآخر الديني، وهو ظرف تاريخي سمح بالتعددية والتنوع، وهو الأمر الذي قبله أبناء المجتمع دون تحزُّب أو تعصب.

في هذا الإطار اهتم بعض الأقباط الأرثوذكس بأن يصدروا صحفًا دينية، وذلك منذ أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر. فقد عمل قداسة البابا كيرلس الخامس- بابا وبطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المائة والثاني عشر (١٨٧٤- ١٩٢٧م) على تشجيع أبناء كنيسته على إصدار مجلات دينية تقوم بالدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية وتنشر العظات والمقالات الروحية التي تحث على الفضيلة وتجنب الرذيلة[iii]، كما كان قداسته يُشجع كتب الوعظ وكتب التعليم الدينية والمؤلفات العلمية والتاريخية التي تساعد على ارتقاء الإكليروس في العلوم والمعارف[iv]، ذلك أن معظم رجال الدين الأقباط آنذاك كانوا من محدودي الثقافة ولا يجيدون الوعظ الديني[v]، وفي المقابل كان المرسلون الأجانب (المبشرون) مُسلَّحين بالمعرفة والعلم والثقافة الدينية، مما كان ذلك يُشكِّل عاملًا قويًا فى التأثير على الكثير من الأقباط، وبالتالي انضمام بعضهم إلى المذاهب التبشيرية الوافدة[vi].

كانت الإرساليات الأجنبية الوافدة إلى مصر قد نشطت آنذاك لجذب أبناء الأقباط، ولكن المرسلين واجهوا مقاومة شديدة من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية- رئاسة وجمهورًا- حيث "نظر الأقباط إليهم كأنما جاءوا لنشر نفوذ السلطات الأجنبية في وادي النيل، وكان ذلك الموقف الرافض لهم في ذات الوقت تعبيرًا عن رغبة الأقباط في حفظ الدين المسيحي وتعاليمه في مصر بعيدة عن أي تدخل خارجي أو تعاليم دخيلة على المعتقدات القبطية"[vii]، وحسب البعض فإنه "بهذه الروح النافرة من السيطرة الأجنبية والتغلغل الأجنبي واجهت الكنيسة المصرية نشاط الإرساليات التبشيرية"[viii]، لا سيما وأن نشاط المرسلين الأجانب قد اتجه أولًا إلى العمل على احتواء المؤسسة الدينية الوطنية للأقباط، أي كنيستهم القبطية الأرثوذكسية، التي تُعد الكنيسة المصرية القومية[ix].

من هنا فقد نهضت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من كبوتها، وأخذت في حشد جهودها لمواجهة ذلك الغزو الديني والثقافي الذي للإرساليات التبشيرية القادمة عليها من الغرب[x]، فكانت المجلات الدينية هنا وسيلة للتثقيف الديني ووسيلة أيضًا لحماية العقيدة الأرثوذكسية، وكان مما ساعد على ظهور تلك المجلات الدينية الأرثوذكسية أيضًا تقدم الطباعة والثقافة في أواخر القرن التاسع عشر، وإنشاء المدرسة الإكليريكية سنة ١٨٩٣م لتخريج طبقة مثقفة من رجال الدين المُثقفين دينيًا سيطرت بدورها على الصحافة الدينية[xi]، تلك الصحافة التي صارت "مجالًا خصبًا لبث القيم الدينية

والأخلاقية في نفوس الأقباط وتعريفهم بالتراث الثقافي والحضاري لبلادهم وتوعيتهم بالقيم الوطنية المرغوبة"[xii].

لقد صدرت العديد من المجلات الدينية المسيحية، بواسطة الأفراد، منهم رجال دين ومنهم مدنيون، أو بواسطة الجمعيات الأهلية التي أسسها المواطنون الأقباط، أو بواسطة الكنائس والأديرة القبطية الأرثوذكسية، وقد صدرت في القاهرة وفي غيرها من المدن المصرية، شمالًا وجنوبًا. وبالنسبة لدورية الصدور فكان منها مجلات شهرية، ومنها من كانت أسبوعية، منها من صدر لفترة قصيرة ومنها من استمر لسنوات طويلة.

من هنا كانت البداية
المكان: الكنيسة المرقسية بالأزبكية
الزمان: ١٨٩٢م

كانت (النشرة الدينية الأسبوعية) لصاحبها القمص يوسف حبشي- أحد قسوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية- هي أولى الصحف الدينية التي أصدرها أحد الأقباط الأرثوذكس، وقد أصدر العدد الأول منها في ٢٣ مارس ١٨٩٢م، مجلة أسبوعية، بمدينة القاهرة، تُطبع بمطبعة الوطن بشارع كلوت بك بمصر.

ومن بعدها توالى صدور الصحف الدينية، ففي سنة ١٨٩٤م أصدر الأسقف إيسيذورس مجلته الشهرية (صهيون) بمدينة القاهرة، وخلال الفترة من ١٨٩٤م إلى ١٩١٠م، أصدر يوسف منقريوس- ناظر المدرسة الإكليريكية القبطية الأرثوذكسية مجلة (الحق)، أسبوعية، بمدينة القاهرة، ويذكر الصحفي رمزي تادرس أنه في عام ١٩١٠م وصل عدد مشتركيها إلى ٨٠٠ مشترك، وكانت قيمة اشتراكها السنوي ٢٥ قرشًا ونفقاتها السنوية ١٣٠ جنيهًا وكان عمرها آنذاك- في سنة توقفها- ١٦ سنة[xiii].

وفي ٨ سبتمبر ١٨٩٦م أصدرت جمعية التوفيق القبطية المركزية بالقاهرة العدد الأول من مجلتها، وكانت باسم (التوفيق) أيضًا، وهى مجلة أسبوعية (ثم نصف شهرية)، كانت تُطبع بمطبعة التوفيق التي أسستها الجمعية، وقد استمرت لفترة ثم توقفت ثم عاودت الظهور، واستمرت على هذا النحو تنتظم أحيانًا وتختفي في أحيان أخرى.

وصدرت مجلة (النور) بمدينة القاهرة في سنة ١٨٩٩م، لصاحبها تادرس شنودة المنقبادي صاحب جريدة (مصر)، وكانت مجلة أسبوعية تُطبع بمطبعة جريدة (مصر) بالفجالة، ولكنها لم تستمر كثيرًا.

وفي أول توت من سنة ١٦١٧ق/ ش (الموافق سبتمبر ١٩٠٠م) أصدر إقلوديوس يوحنا لبيب الميري مجلة شهرية بمدينة القاهرة اسمها (عين شمس)، كانت أثرية دينية، تستخدم اللغة القبطية في بعض موضوعاتها إلى جانب اللغة العربية، وكان إقلوديوس الميري يطبع مجلته في مطبعته والتي أسماها أيضًا "مطبعة عين شمس".

ويصدر الشماس (ثم الأرشيدياكون) حبيب جرجس- مُدرِّس الدين ثم ناظر المدرسة الإكليريكية القبطية- مجلته الشهيرة (الكرمة) بمدينة القاهرة في سنة ١٩٠٤م، مجلة شهرية، تُطبع بمطبعة الكرمة بأول الدرب الواسع بشارع كلوت بك، وقد أصدر منها ١٧ مجلدًا (١٧ سنة غير متصلة)، من سنة ١٩٠٤م إلى سنة ١٩١٢م ومن سنة ١٩٢٣م إلى سنة ١٩٣١م. وكانت (الكرمة) واسعة الانتشار إذ وصل عدد مشتركيها سنة ١٩١٠م إلى ١٩٠٠ مشترك، وكانت قيمة اشتراكها آنذاك ٢٥ قرشًا ونفقاتها السنوية ٢٠٠ جنيه وعمرها ٦ سنوات[xiv]، حيث كانت موضوعات تلك المجلة ومقالاتها "مشبعة فكريًا، وثقافيًا، وروحيًا، لأنها تميزت بالعمق واستخدمت المنهج العلمي في دراساتها التي تطرقت إلى موضوعات مختلفة ومتنوعة"[xv]. ورغم مرور السنوات فإن (الكرمة) تُمثل علامة مميزة في تاريخ المجلات القبطية[xvi].

وفي سنة ١٩٠٤م أيضًا أصدرت جمعية الإيمان المركزية بالقاهرة مجلة شهرية تحت اسم (الفتى القبطي)، وفي عام ١٩٠٩م تحول اسمها إلى (الإيمان)، وإن كانت المجلة أخذت تذكر ومنذ عام ١٩٠٨م اسمها (الفتى القبطي) ببنط كبير وأسفله وببنط أصغر (مجلة الإيمان الشهرية).

وفي سنة ١٩٠٧م صدرت (المجلة القبطية) بالقاهرة، مجلة شهرية، لصاحبها المؤرخ جرجس فيلوثاؤس عوض، الذي عُرف عنه اهتمامه الكبير بتاريخ الأقباط وكنيستهم الأرثوذكسية.

كما صدرت في نفس العام مجلة (الرابطة المسيحية) عن جمعية الرابطة المسيحية بالقاهرة، وكان الشماس فرح جرجس- مُعلم الدين بالمدرسة الإكليريكية- مديرًا لتحرير القسم الديني بها.

وشهدت مدينة الإسكندرية في سنة ١٩٠٨م صدور مجلة أسبوعية هي مجلة (الشعب القبطي)، أصدرها شخص يُدعى مكسيموس حيث اكتفى بذكر هذا الاسم فحسب، وقد أراد لمجلته أن تنشر كل شكاوى الأقباط وأخبار المجلس الملي بغرض الإصلاح والصلاح.

وفي يناير من عام ١٩٠٩م أصدر توفيق حبيب بمدينة القاهرة مجلة نصف شهرية دعاها (فرعون)، مجلة مِليَّة اجتماعية سياسية، الغرض منها خدمة الطائفة القبطية في مرافق حياتها المِليَّة والاجتماعية والسياسية بلا تعرض للدين. وهي وإن كانت مجلة طائفية فإنها تُحسب أيضًا على الصحف الدينية بسبب اهتمامها بأحوال الأقباط الدينية من جمعيات ومجلس ملي.. إلخ. وقد وصل عدد مشتركي هذه المجلة في سنة ١٩١٠م إلى ٦٠٠ مشترك، وكانت قيمة اشتراكها السنوي ٢٠ قرشًا ونفقاتها السنوية ٦٦ جنيهًا[xvii].

وفي نفس العام أيضًا- ١٩٠٩م- أصدرت جمعية الاتحاد القبطية الخيرية بالإسكندرية مجلة (العائلة القبطية)، وكانت شهرية.

الهوامش

[1] نادية منير، **جولة على أوراق الصحافة** القبطية، مجلة (مدارس الأحد)، نوفمبر وديسمبر ٢٠٠٠م، ص ٦٧.

[1] يوسف منقريوس، **تاريخ الأمة القبطية مدى العشرين سنة الماضية: ١٨٩٣-١٩١٢**، القاهرة: مطبعة القديس مكاريوس بمصر القديمة، ١٩١٣م، ص ٥٤.

[1] يوسف منقريوس، **تاريخ الأمة القبطية مدى العشرين سنة الماضية: ١٨٩٣-١٩١٢**، المرجع السابق، ص ٦٦.

[1] يوسف منقريوس، **القول اليقين في مسألة الأقباط الأرثوذكسيين**، القاهرة: مطبعة الوطن، ١٨٩٣م، ص ٢٢.

[1] رفيق حبيب ومحمد عفيفي، **تاريخ الكنيسة المصرية**، القاهرة: الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص ٥٦.

[1] خلف محمود خليفة، الإرساليات التبشيرية **ونشاطها التعليمي في صعيد مصر (بين عامي ١٨٥٠-١٩١٤)**، رسالة ماجستير، المنيا: جامعة المنيا، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩٢م، ص ١٨٨.

[1] سميرة بحر، **الأقباط في الحياة السياسية المصرية**، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م، ص ص ٢٠-٢١.

[1] طارق البشرى، **المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٣٥.

[1] أبو سيف يوسف، **الأقباط والقومية العربية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧م، ص ١١٤.

[1] خلف محمود خليفة، مصدر سابق، ص ١٨٨.

[1] رياض سوريال، **المجتمع القبطي في مصر في (القرن ١٩)**، القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٤، ص ١٣٠.

[1] طلعت ذكري مينا، **حبيب جرجس وتراثه التعليمي**، القاهرة: مطبعة مدارس الأحد، ١٩٩٥م، ص ٧١.

[1] رمزي تادرس، **الأقباط في القرن العشرين**، الجزء الأول، القاهرة: مطبعة جريدة مصر ١٩١٠م، ص ١٤٤.

[1] رمزي تادرس، المرجع السابق، ص ١٤٤.

[1] نادية منير، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧.

[1] للمزيد حول حياة الأرشيدياكون حبيب جرجس وتاريخ مجلة (الكرمة) من حيث نشأتها ومسيرتها، يمكن الرجوع إلى: رامي عطا صديق (إعداد) "الأنبا" موسى (تقديم)، **كرمة مشتهاة: القديس الأرشيدياكون حبيب جرجس**، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ٢٠١٨م.

[1] رمزي تادرس، **الأقباط في القرن العشرين**، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ١٤٤.

إعداد طريق الملكوت

إيبوذياكون جرجس ميخائيل

هل سيد الكون وجابله يحتاج لإنسان أن يعد له الطريق؟ وماذا يقدر أن يفعل هذا الإنسان بعالم الإثم والخطية والظلمة وماهي قدرته الذي يستطيع أن يهيئ العالم لقدوم خالقه؟ وما هي مواصفاته؟

لقد وضع على القديس يوحنا المعمدان أصعب مهمة ممكن أن يؤديها إنسان لله!

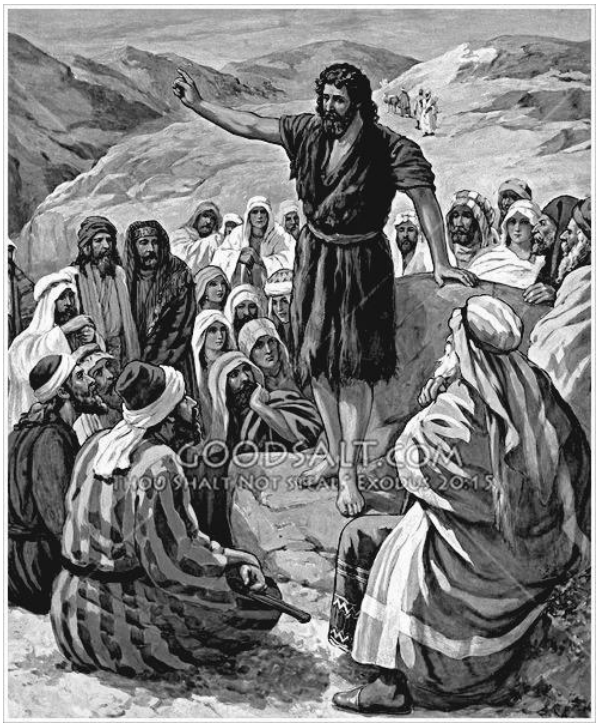

ولد يوحنا في أحداث ولادة عجيبة، تكلم عنها كل الجيران في خوف لمدة طويلة. فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ. وَتُحُدِّثَ بِهذِهِ الأُمُورِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ (لوقا ١: ٦٥)، تعالوا نتأمل في صفاته كما أسردها الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن، وما هي أكثر صفة ميزته ليكون هو فقط مناسبًا لهذه المهمة الفريدة والخدمة الدقيقة والعجيبة في نفس الوقت !

سيكون مفرحًا وسيفرح الكثيرون بولادته، خمرًا ومسكرًا لا يشرب وممتلئ من الروح القدس،سيرد الكثيرين إلى الرب إلههم، يتقدم أمام ربنا يسوع المولود "بروح إيليا وقوته"،يرد قلوب الأبناء إلى الآباء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعبًا مستعدًا.

لقد جاء يوحنا المعمدان في أجواء مظلمة عمها التسيُّب والانحلال الخلقي ومظهرية العبادة والرياء الذي ساد حتى بين معلمي الشريعة وكهنة الشعب.

فأول ما نادى به أن نادى بالتوبة، وكانت دعوته قوية وصوته صارخ في قلوب الناس أن يتوبوا تاركين أزمنة الجهل قائلًا: أعطوني أية أمارة على أنكم تهربون من الدينونة الآتية على الكل، و كما وبخ الشعب طال الأمر حتى الملك الزاني، فصعدت توبيخاته حتى إلى القصر فأرقت الملوك في غرفهم

الداخلية وأقمعتهم وملأتهم خوفًا، ولم تقف عند حد الشعب أو كهنته أو حتى جنود الهيكل، فكانت دعوته وخدمته حقًا وكلام حق مضيء في زمن مظلم، فأراد البعض إطفاء السراج المنير، ولعل أهم سمة وصفة في يوحنا المعمدان هو كونه حق، وجاء يشهد للحق بأن وضع يده على الجرح الحقيقي ولم يناور أو يسايس أو يستخدم طرقًا "رقيقة" أو أساليب "دبلوماسية" مع القادة أو أن يهادن الملك أو أن يصنع معه "اتفاقًا مرضيًا" أو "حل وسط" لا لا لم يفعل أي من هذا بل بروح إيليا النبي الناري وقوته، الثائر للحق وقف وانتصب أمام الشيطان بكل ما أوتى من قوة قائلاً في شجاعة العظماء: "لا يحل لك"، هوذا الفأس قد وضعت على أصل الشجرة، فها قد وَضَعت أمامك الموت أو الحياة، فاختر الحياة لكى تحيا و إلا ستقطع شجرتك!

لم تكن هذه مجرد عصبية أو غضب لا أخلاقي، بل كانت جذوة داخلية مشتعلة بروح الله القدوس، لأن يوحنا كما أنبأ الملاك أنه يكون ممتلئًا من الروح القدس، من بطن أمه، فكانت قوته حقًا وغضبه نارًا إلهية تشتعل في صدره، ولا يقدر إلا أن يتكلم بها، ويخبر عن أن الرب قريب فتوبوا.

لم يكن يوحنا بروحه النارية من أصحاب "الباب والريح وأن تسده وتستريح" بل كان هو ريحًا عاصفًا، كما بحلول روح الله يوم الخمسين، لا تستقر كلماته حتى تفلح وتنجح فيما أرسلت إليه فقد جاء ليعد طرق الرب ومن أدرى بطرق الرب المستقيمة إلا روح الرب ذاته!

جاء بهذه الروح النارية ليحرق طمع وخبث ورياء وكبرياء وسلطة وتسلط ذاتي وغيرة وحسد وتجارة لصوص، ليجهز قلوبًا بسيطة مثل قلوب الرعاة الذين استحقوا بالحق أن يشاهدوا المناظر السماوية، وأن يكونوا رعاة وخدام أمناء ساهرين متى يأتي رب البيت، فأتى وكانوا في شرف استقبال الملك الحقيقي، سيد كل الأرض.

كان يوحنا حقًا يشهد للحق، فما كان من الممكن أن يشهد للحق بطرق ملتوية وخطط ذاتية وأساليب بشرية، كان أمينًا من أمناء الأرض التي تجول عينا الرب باحثة عن هؤلاء فاستحق أن يشاهد حمل الله الحقيقي ويشهد له أنه هو المسيا المزمع أن يأتي، ويكون من الشاهدين المستحقين لآلام الابن الوحيد.

كان صديقًا حميمًا للعريس فأحبه العريس ورثاه بنفسه، وخادمًا يبذل نفسه وينقص ويتناقص أمام مجد ابن الله الحقيقي بينما كان الآخرون يتراقصون طمعًا في الجائزة الأرضية أو المكافأة الوقتية أو المكاسب الزمنية، فكان كشاهد للحق ومشاهدًا للحق وشهيدًا بالحق نال هو إكليل أمانته كسراج منير، أنار أمام العريس نفسه كمصباح وكشمعة احترق أعظم مواليد النساء من أجل أن يضئ أمامه الطريق.

وأنت يا خادم الله في كل مكان ليكن يوحنا المعمدان رفيقًا وسندًا وعكازًا ومُعلمًا لك، لتخدم بأمانة شاهدًا للحق في طريق الحق.

الصدر المُريح

نحن نعيش الآن وسط عالم مضطرب، بحر هائج يسوده القلق، ولكن عندما نثبّت عيوننا على المسيح نعبر بأمان لأنه هو أمسًا واليوم وإلى الأبد. لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران، في شخصه المبارك وتعاليمه المُحيية ومواعيده الصادقة نجد سلامنا وتعزيتنا: "في قلب الإنسان أفكار كثيرة لكن مشورة الرب هي تثبت"(أم١٩:٢١).

بقدرته الإلهية يستطيع أن يُسكِت الريح العاصف والبحر الهائج، فهو السيد الرب صاحب الكلمة القوية الآمرة بسلطانه الإلهي، يأمر الأمواج أن تسكت وتبكم فتطيع الأمواج صوته.

أنَّات كثيرة من قلوب كسيرة تدل على شدة المعاناة والآلام ولن تجد راحتها الداخلية إلا في الإرتماء بين أحضان المسيح. الذين امتلأت حياتهم بالمرائر والأحزان، يستطيع الرب أن يملأ قلوبهم بفيض سلامه الإلهي وتعزيات روحه فهو مصدر كل أمان وسلام.

المؤمن الحقيقي لا يخاف من أي شيء، إذا كان يضع ثقته في الله صخر الدهور. فالأوقات تتغير والأحوال تتبدل، ولكن الله يبقى غير متغير، فهو أمسًا واليوم وإلى الأبد، هو إله أمانة وكلي المحبة والصلاح والرجاء للذين اتكلوا عليه ووثقوا فيه: "أمسكت بيدي اليمنى. برأيك تهديني وبعد إلى مجد تأخذني" (مز٧٢:٣).

هو راعينا ومدبر حياتنا ومرشد خطواتنا وقائد دفة سفينة حياتنا، على صخرة وعوده الإلهية نستقر مطمئنين ثابتين لأن فيها اليقين الثابت، أما أحوال العالم وأفكاره فهي متغيرة على الدوام. عندما نقبل مشيئته وكل ما يسمح به بروح الشكر والرضى نتمثل به هو نفسه في طاعته للآب، ونقول: "لتكن لا إرادتي بل إرادتك" (لو٢٢:٤٢).

رغم صعوبات العالم لكننا نؤمن أن الرب تدخَّل في كل ظروف الحياة ويدبر الأمور حسب مشيئته الصالحة، وحينئذ نكون على يقين أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله.

عندما نسلِّم نفوسنا وكل حياتنا بين يديه يصير هو المهتم بنا، ولا يخزى جميع المتوكلين عليه. عندما نكون متسلِّحين دائمًا بترس الإيمان الذي به نقدر أن نطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة، لا تفتر ثقتنا فيه مهما كانت التجارب التي نمر بها، ولا يدخل إلينا روح التذمر الذي هو مناقض للشكر، بل نكون ثابتين فيه في كل الأحوال، عندما نتمسك بكلمة الله التي تُعلِّمنا أن المجد ينتظر المتألمين لأجله فهذا يجعلنا أقوياء، ونستهين بضيقات العالم التي نتواجه معها.

هو مسيح التعابى والمتألمين والمجرَّبين ومقوي الضعفاء والنافخ في الفتائل المُدَّخنة لكي يشعلها من جديد.

رفعوا حجارة ليرجموه

إيبوذياكون: جرجس ميخائيل

كانت عقوبة التجديف في العهد القديم تستوجب الرجم، وهي ذات الخطية التي تطال اسم الله الحسن بشتيمة أو ما يسمى عند العامة ب "سب الدين" حتى أن اليهود لم يتقولوا اسم "يهوه" أو "الله" فكانوا يقولون عليه المبارك كناية عن اسم الله. فحسب الشريعة كانت الجماعة تأخذ الذي أخطأ ويضع السامعين أيديهم على رأس الشخص وترجمه كل الجماعة.

فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَخْرِجِ الَّذِي سَبَّ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، فَيَضَعَ جَمِيعُ السَّامِعِينَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَرْجُمَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ. وَكَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: كُلُّ مَنْ سَبَّ إِلهَهُ يَحْمِلُ خَطِيَّتَهُ، وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ. (لاويين ٢٤: ١٣-١٦).

وفي إنجيل يوحنا نقرأ أن اليهود حاولوا رجم الرب يسوع، فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. (يو ١٠: ٣١). فبالرغم أنه الوحيد في كل زمن الذي قدر أن يقف ويقول من منكم يبكتني على خطية، فلم يتجاسر أحد على أن يجد له أي هفوة صنعها، هو ربنا يسوع المسيح الذي شابهنا في كل شيء ما خلا الخطية .

كان ربنا يسوع قد صنع الكثير من المعجزات، وشفى مرضى وفتح أعين العميان، وطهر البُرّص وأقام الموتى بكلمة، وكان يُعلِّم في مجامع اليهود كل سبت، ويعلم الشعب في السياجات والطرق وعلى شاطئ البحيرات وعلى سفوح وأعلى الجبال، وكان الشعب يبكر ليسمعه، حتى أن الجموع كانت تنسى أن تأكل لأنهم كانوا مشدوهين من تعاليمه، وكيف يُعلِّم بسلطان فكانت تعاليمه تخترق أسماعهم وعقولهم وأنفسهم كسهام نارية وتعليم بسيط، حتى أنه أشفق على الجمع لأن له ثلاثة أيام كاملة يسمعون منه بلا توانى، فصنع ضيافته العجيبة، وأشبع الألوف في البرية قبل أن يصرفهم لئلا يخوروا في الطريق!

ورغم كل هذا تناول اليهود حجارة ليرجموه، عندما حاول أن يظهر لهم نفسه ويُعلِّمهم أنه هو والآب واحد معادلاً ومساويًا نفسه بالله! قائلاً: لهم أعمالاً حسنة كثيرة أريتكم فلماذا تريدوا أن ترجمونني؟!

عندما كان يسوع يمر كانت تحدث أزمة وازدحام مروري حتى أن البعض كان يدوس بعضًا، ونقرأ في قصة ذكا أنه لم يستطع أن يرى يسوع من الازدحام ولأنه كان قصير القامة، فصعد على جميزة! وأيضًا عندما جاء أصحاب المفلوج وكان يسوع في بيت فلم يجدوا وسيلة يخترقون بها الزحام غير أن ينقبوا السقف ليشفي صاحبهم.

حتى عندما شفى نازفة الدم كان الجمع يزحمه ورغم ذلك كانت قوة شافية مقتدرة تخرج منه وتشفى من يستحق ومن لا يستحق، فقد شفى العشر البرص ولم يرجع غير واحد فقط يقدم الشكر والمجد لله!!

ومع ذلك فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. (يو ٨: ٥٩).

وهذه المرة الثانية التي رفعوا حجارة ليرجموه لأنه صرَّح لهم أنه كائن قبل إبراهيم، فهو الأزلي الذي به كل شيء كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، لكن توقف العقل ونسى وتناسى كل العجائب والمعجزات التي لا يستطع أن يصنعها سوى الله نفسه، وتملكتهم التقية والتدين أن ينفذوا فيه الشريعة بأن يمسكوا الحجارة ويرفعوها على ابن الله ليرجموه، وفى المرتين يجوز في وسطهم بقدرته الإلهية كما لو أنهم أصيبوا بالعمى.

كثيرون من الأتقياء في حياتنا والذين انتهجوا نهج ربنا يسوع المسيح وسلكوا طريقه واصطبغوا بصبغته بدلاً من شكرهم وتشجيعهم ومعاونتهم نقوم ونرفع حجارة لنرجمهم، ونعرقلهم بسلبيتنا أحيانًا أو بانتقادهم أحيان أخرى، أو بإزاحتهم من طريقنا، أو بمحاولة أخذ مكانهم أو مكانتهم أو باختطاف نجاحاتهم لأنفسنا!! وببساطة نرفع حجارة لنرجمهم هم وإنجازاتهم، هم وخدمتهم، هم ومخدومهم، ويكون كل همنا هو تنفيذ الشريعة، وهو مطلب ديني في المقام الأول، فهم في نظرنا مجدفين على الاسم الحسن، نصاب بالعمى وفقدان الحس والإدراك حتى أننا نكون كمبصرين لا يبصرون، وننسى محبتهم وصبرهم وتعبهم وأعمالهم وخدمتهم معنا التي مجدت وتُمجد الله. لكنهم سوف يجتازون في وسطنا وسوف يجتازوا التجربة لأن الله معهم، وسوف تتضح الأمور لهم وتنكشف الكثير من الأقنعة وتتساقط، ممن رفع الحجارة ومن سلمه ومن صرخ اصلبه ومن سمره ومن طعنه ومن صار دمه عليه وعلى أولاده!

قالها ربنا يسوع المسيح لكل من أتى ليدين الخاطئة التي أمسكت في ذات الفعل، فما حالنا إن كنا نرجم الأتقياء!! وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!» (يو ٨: ٧).

لا أحد يستطيع أن يعمل منفردًا، لكننا نحتاج إلى بعضنا البعض في جسد المسيح الواحد، فلن تقوم بقطع ذراعك لأنك تحسد أخيك، فمن يرجم أخاه كمن يطلق الرصاص على نفسه، عملنا في كرم المسيح في احتياج لكل عضو مهما بدا صغيرًا غير نافع، أو مهما بدا ناجحًا لامعًا ممتلئ بالمواهب الكل يحتاج بعضه والذكي من يقدر على قيادة الكل وتوظيف الكل وتشجيع الكل.

في طريق بيت لحم

بشارة طر ابلسي

لم نكن نعلم الوجهة التي سنقصدها، فمنذ خرجنا من بلادنا، لم نكن نعلم سوى أننا سنتجه غربًا. وحين اختفى النجم قرب أورشليم، ظننا أنها مقصدنا، ولكن ملكها وكهنتها لم يعرفوا عمن كنا نتحدث. ظننت وقتها لوهلة أننا أخطأنا قراءة النجوم، فكل شيء في المدينة الصاخبة يبدو طبيعيًا، ولا شيء ينبئ باحتفالات ولادة ملك أو وليّ عهد المملكة. وما لنا نحن ونبوات هؤلاء القوم! أيتها الآلهة.. هل انحمقنا؟!

ولكن بعد عدة أيام في أورشليم المضطربة ظهر النجم يقودنا جنوبًا، ووصلت قافلتنا لقرية صغيرة عرفنا فيما بعد أن اسمها "بيت لحم". عند مدخل القرية كان هناك عمود منصوب، قيل لنا إنه قبر أحد أمهات هذا الشعب الأوائل، وهو حقًا نُصُب قديم يرجع لعهود الأولين، وربما أقدم من عصر جدنا بلعام. ولكني شعرت بنوع من التشاؤم: أيّ وليد حسن الطالع سنجده في مدينة عند مدخلها قبر؟! ولكني لم أصرّح لرفاقي بشعوري هذا، فقد كنت أصغرهم ولن يسمعوا لي.

ارتجت القرية كلها لمقدمنا، فسكانها البسطاء لم يروا قبلًا قافلة بهذا الحجم تأتي لقريتهم الصغيرة. خافوا أن يسألونا من نطلب، ونحن لم نسألهم، فقد قرر قادتنا أن نتبع النجم فقط حتى لا يتكرر ما حدث في أورشليم.

دلّنا النجم على بيت بسيط، فيه أمٌ شابة، وزوج شيخ طاعن في السن.. ورضيع. لا بد أن هذا هو الطفل المقصود.. ولكن أي مَلك هذا؟ إنه ابن أسرة فقيرة! وأيّ مملكة سيحكم؟ هل سيكبر ليكون قائدًا عسكريًا يغتصب المملكة؟ ممن؟ من هيرودس أم الرومان أم الفرس المتربصين؟ لعمري قد أعياني التفكير.

قام كبارنا بالسجود أمام هذا الطفل، فسجدت مثلهم. قدموا هدايا ثمينة من الذهب واللبان والمر، وحكوا لأبوي الطفل -عن طريق الترجمان- كيف استطلعوا النجم وأعدوا القافلة، والرحلة إلى أورشليم، ثم إلى بيت لحم. اكتفت الأم الشابة ورجلها بابتسامات وإيماءات تعني الشكر والتقدير... وبقيت أنا غير مستريح لكل هذا بتنا ليلتها في بيت لحم، نصبنا خيامنا بجوار منزل أسرة "ملك اليهود"

ونمنا.

عند منتصف الليل استيقظت على صوت بكاء طفل، لا بد أن "جلالته" جائع ويطلب أن يرضع. ضحكت عندما جاءني هذا الخاطر. نظرت حولي فإذا جميعهم نيام، فقط أنا من تنبه لبكاء الطفل. تدثرت بعباءة وقمت أتمشى جهة الدار. ورغم الظلمة والنوافذ المغلقة، لكني استطعت رؤية الأم ترضع طفلها. كان يحرك يديه وساقيه في سعادة كأي رضيع سعيد بالشبع. لعمري ما أجمل براءة الطفولة. أخذت أمه تهدهده وتلاعبه، وامتلأ المكان فجأة بنور لا أعلم مصدره.. بدا وكأن الشمس استقرت داخل البيت الصغير، وتبدّل المنظر، ورأيت الطفل وقد أصبح ملكًا شابًا فتيًا يجلس على عرش خشبي! وتسجد له بشر من مختلف الأجناس والأعراق، بل وملائكة من السموات.. ورأيت آخرين يرتعبون منه ويحاولون الهروب، عرفت في أحدهم هيرودس الملك، وآخر كان حنان رئيس كهنة اليهود! وبقيت أنا واقفًا لا أدري ماذا أفعل. ناداني بصوت يشبه خرير المياه: "امكث معي، لأنه لا نجاة لإنسان بعيدًا عني"، فسجدت أنا أيضًا وقلت: "اقبلني يا سيدي ضمن رعاياك".

استيقظت على صوت جلبة، فقومي يعدون العدة للرحيل ويتحدثون عن رؤيا ووحي بالعودة للوطن من طريق أخرى.. أمّا أن فبقيت جامدًا لا أعلم أن كان ما حدث حلمًا أو حقيقة. توجهت نحو البيت وكان الطفل يلعب في فراشه، وما أن رآني حتى ابتسم، فقبلت يديه وقدميه وقلت له: "ائذن لي جلالتك بالمكوث هنا"، فضحك بصوت طفولي رائع وحسبته أنا يوافق على طلبي.

انطلق قومي عائدين وبقيت أنا في بيت لحم بجوار الأسرة الملكية، سعيدًا بالدخول والخروج في حضرة ملك الكون وقتما أشاء. كنت أخلو إليه وأحدثه كثيرًا وكان يومئ برأسه أو يبتسم وكأنه يفهمني.

عشت أيامًا كلها سلام وفرح، حتى جاء يوم وجدت الأسرة الملكية قد رحلت أثناء الليل. لم أدرِ كيف ولماذا حدث هذا ولكني تألمت كثيرًا. جمعت حاجياتي وعزمت على العودة لموطني، وضحكت من سذاجتي فيبدو أنني اتبعتُ خرافة. جلست عند "عمود قبر راحيل" أبحث عن دليل للسفر أو قافلة أصحبها، وفجأة رأيت جحافل من الجند آتيةً نحو القرية تبحث عن الأطفال. لم أفهم شيئًا أولًا ولكنني رأيتهم يمسكون طفلًا ويذبحونه بأمر الملك. انتابني الذعر وجريت لأنقذ آخر كانوا يستعدون للإمساك به، فأصابتني طعنة من سيف أحدهم. سقطت غارقًا في دمائي عند قبر راحيل؛ لهذا إذًا تشاءمت منه، فقد أحسّت روحي مسبقًا أني سأقضي نحبي عنده. حاولت بآخر أنفاسي أن أعيق جندي آخر فطعنني واستمرت المذبحة.

وإذ بي وسط جوقة من الأطفال المنيرين، ندخل كلنا أمام الملك الجالس على عرشه الخشبي، فقبّل كلًا منّا وقال: "أنتم الباكورة.. امكثوا معي هنا إلى الأبد..."

عيد الميلاد ٢٠٢٣

خواطر كهل

نتائج التمرغ في الوحل

ملايين الآن يتمرغون في الوحل، ويزدادون تجديفًا على الله، ويرفعون وجوههم ضده، ويحتقرون وصاياه، ومع هذا كله الله صابر عليهم ولا يريد سوى توبتهم وخلاصهم حتى لا يُكمِّلوا حياتهم في طريق الهلاك. نفوس كثيرة عاجزة عن رؤية طريق الخلاص، وهم في حالة بؤس وعبودية للخطية، يعيشون فقط بالجسد وللجسد، ولا يدرون شيئًا عن الحياة بالروح.

مع كثرة الخطية والشر قلوبًا كثيرة فقدت روح البهجة والسلام الداخلي وباتت في حالة كآبة ويأس لأنهم ابتعدوا عن الله مصدر البهجة والسلام، والعبودية للخطية لا تعطي فرحًا ولا سلامًا: "لا سلام قال الرب للأشرار" (إش٤٨:٢٢).

بدون الشركة المقدسة مع الله يكون من المستحيل التمتع ببهجة الخلاص من شرور العالم. غيوم ظلمة كثيفة تغطي العالم اليوم لأن الناس ازدروا بوصايا الله وتجاهلوا ذبيحة الفادي التي هي أصلاً لخلاص العالم. وكثيرون الآن يعانون من روح الفشل في إصلاح حالهم، لأن لا خلاص ولا إصلاح ولا نجاة إلا بالمسيح المُخلِّص. البشر يتخبطون في ظلمة الشرور الحالكة، لأنهم رفضوا النور الحقيقي الذي يضيء لكل إنسان في العالم أي المسيح وتعاليمه الإلهية السامية.

ومع ذلك يظل المسيح هو مصدر النور والخلاص لكل طالبيه، نوره يرشد النفوس التائهة عنه إلى طريق الخلاص، ويهديهم إلى طريق الأمان الذي يصل بهم إلى شاطئ الأبدية بسلام. هو القائل: "أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" (يو٨:١٢).

الخطية عدو دخيل عندما يحتل كيان الإنسان ويسكن في القلب يسيطر على النفس ويوجه حركتها دائمًا إلى فعل الشر. الذين عاشوا في غير مبالاة بمصيرهم الأبدي ضاعوا في متاهات العالم. رغم الأزمات الكثيرة التي يمر بها العالم لكنه لم يرجع عن غيّه بل تمادى في شره وجُرْمه.

الذين قسُّوا قلوبهم وتمردوا على الله لم يروا سعادة ولم يتمتعوا ببهجة القلب، بل أن كل الذين ضلوا عن طريق الله فقدوا سلامهم الداخلي واطمئنانهم.

ستظل البشرية متألمة وحائرة ومضطربة مادامت هي بعيدة عن طريق الله، طريق الحياة والبر.

قوة صلاة المؤمنين تُحرِّك يد الله لتعمل بقوة، فينقذ الله العالم من الانحدار في طرق الظلمة المؤدية إلى الهلاك، ويشرق بنوره عليه ليُخلِّصه من مسالك الظلمة التي يتخبط فيها كل يوم.

الصلاة تجعل روح الله يبكِّت القلوب ليرجع الناس عن غيهم ويندموا على خطاياهم، ولا يكمِّلوا طريقهم المؤدي للضياع والهلاك.

الصلاة تُنجِّي العالم من رياح الشر العاصفة التي تعصف بالنفوس وتبعدها عن طريق الله. الرب هو الإله القدير الذي يأمر الرياح فتهدأ والأمواج الهائجة فتسكن.

هو جاء ليقهر العدو الأثيم ويفدي الخاطئ ويُحرِّر الأثيم. الصلاة تجعل الموتى روحيًا يقومون ليتبعوا طريق الرب ويكون لهم نصيب في الحياة الأبدية.

ديديموس القرن الحادي والعشرون

المعلم الأرشيدياكون عياد نجيب عياد

مُعلِّم الألحان بالكُلِّيَّة الإكليريكية بالدير المحرق

أرشيدياكون إيبارشية القوصية ومير

(١٩٦٢- ٢٠٢١م)

إعداد: إسحاق إبراهيم الباجوشي

ولد المعلم عياد نجيب عياد إبراهيم بولس إبراهيم بولس (من عائلة البوالس) بدير جبل الطير ووالدته السيدة: سميرة حنا متياس بولس، في ١٥ نوفمبر ١٩٦٢م، وتعمَّد في كنيسة العذراء بدير العذراء بيد القمص روفائيل سيحة، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية بدير جبل الطير ١٩٦٨م تخرج فيها عام ١٩٧٤م، فقد بصره بعد المرحلة الابتدائية، والتحق بمعهد ديديموس بالدير المحرق عام ١٩٧٨م وتخرج فيه عام ١٩٨٢م، قام بالتدريس في الكلية الإكليريكية ومعهد ديديموس منذ عام ١٩٨١م، أعتذر عن التدريس بالمعهد عام ١٩٩٤م، لإنشغاله في مطرانية القوصية ومير.

سيم إبسلتيس (أي مرتل) في الأحد ٢٦ مارس ١٩٧٨م بيد الأنبا أغاثون رئيس دير المحرق حينذاك، ثم سِيم أُغنسطس (أي قارئ) أكتوبر ١٩٨٠ بيد الأنبا أغاثون رئيس دير المحرق حينذاك، ثم إبيدياكون ٢٩ نوفمبر ١٩٨٥م بيد الأنبا ساويرس والأنبا كيرلس أسقف نجع حمادي في عيد الإكليريكية، ثم دياكون ٢٩ نوفمبر ١٩٨٥م بيد الأنبا ساويرس والأنبا كيرلس أسقف نجع حمادي في عيد الإكليريكية، وتزوَّج من السَّيِّدةِ الفاضلة نبيلة فَتُّوح التنداوي في ٧ فبراير ١٩٩٤م، والتي كانت خير مُعين بل لقد قامت بقراءة العديد من الكُتب له، ومساعدته في إنجاز العديد من الدراسات اللاهوتية والآبائية، ولم يكن يكتفي بقراءة الكتب اللاهوتية والآبائية فحسب بل خاض في كثير من المجالات التاريخية والنفسية والأدبية، وحفظ كثيرًا من الشعر والأقوال والأزجال.

سيم أرشيدياكون (رئيس شمامسة) في عيد الغطاس في مطرانية القوصية ومير في عيد الغطاس الخميس ١١ طوبة ١٧٣٣ش/ ١٩ يناير ٢٠١٧م بيد الأنبا توماس أسقف القوصية ومير.

ومن العجيب أن المعلم عياد كان يُدقِّق أن القول المراد اقتباسه والاعتماد عليه كان في الكتاب بعنوان كذا، والصفحة ورقم الفقرة، بل من الأكثر عجبًا كان يشير في بعض الأحيان إلى موضعه في الصفحة من أعلى أم من أسفل، وكان مُحبًّا جدًّا لدير جبل الطير فلم يدخر فرصة إلا وشارك فيها

أهله وبلده في فرحٍ وفي حزنٍ.

ولقد خدم في العديد من كنائس سمالوط منها: كنائس مارجرجس شرق الترعة، ومارمينا طحا، والتعليم في كنيسة الآباء الرسل بقلوصنا، والأنبا بولا بنزلة العمودين، والشهيد أبسخيرون بالبهو بسمالوط، وفي ديروط مع الأنبا ساويرس النائب البابوي بديروط حينذك في سنة ١٩٨٤، ١٩٨٥م، وفي كنيسة العذراء بالمنشية الكبري بالدير، ثم خدم في القوصية من الجمعة ٩ مايو ١٩٨٩م مع الأنبا توماس أسقف القوصية ومير.

في إحدى جلساتي معه وكان ذلك في يوم الثلاثاء الموافق ١٧ مايو ٢٠١٦م في منزله بدير جبل الطير، سألته عن أبحاثه اللاَّهوتية والعلمية منها: بحث في: "**الصفات اللاهوتية للمسيح في الأسفار الإلهية**"، بحث آخر بعنوان: "**الروح القدس في تعاليم القديس بولس الرسول**"، وآخر بعنوان "**الروح القدس أقنوميته وعمله في المؤمنين**"، وبحث في: "**سلامة الكتاب المقدس من التحريف**"، وبحث في: "**تفسير قانون الإيمان النيقاوي دراسة لاهوتية**" وكان قيد النشر في دار أنطون منذ سنين عديدة، وآخر بعنوان: "**عقيدتنا في الثالوث**"، وآخر في: "**التقليد الكنسي**"، وآخر في: "**التجسد هو أعلان حب الله**"، وآخر "**من وحي التجسد**"، وآخر بعنوان: "**لكي بآلامه يخلصنا**"... وهناك العديد من الأبحاث والعظات التي يصعب حصرها جملة.

هاجمته كثير من الأمراض ولكن تحلى بالصبر والشكر لله، وفي آخرها هاجمه ذلك الوباء وعلى إثره تنيح في يوم الجمعة، وتمت الصلاة على جثمانه الطاهر في صباح يوم السبت الموافق ١٦ يناير ٢٠٢١م/ ٨ طوبة ١٧٣٧ش، وتمت الصلاة على جثمانه الطاهر في كنيسة مار يوحنا المعمدان بالقوصية، ودُفن في مقابر عائلته بدير جبل الطير، تاركًا لنا مثالاً حيًا للخادم الأمين وصاحب التحدي العظيم وديديموس القرن الحادي والعشرون.

كان راعيًا يحفظ رعيته، فلقد كان يحفظ مواضع جلوس الطلبة في المدرج كل واحد وواحد بالاسم وترتيب جلوسهم، وكان يحفظ عن ظهر قلب خريجي الكلية الإكليريكية بالدير المحرق بأسمائهم قبل الكهنوت وبعد الكهنوت، والكنائس التي يخدمون فيها، وكان يميز الأشخاص من ملمس أيديهم، ويعرفهم من صوتهم ولو بعد غيابهم عنه بسنوات، إنه بالحق حالة فريده من الذكاء المفرط والبصيرة الداخلية، وإتقان اللغات العربية والقبطية واليونانية والإنجليزية بكفاءة عالية، وكان له شغف كبير بدراسة المخطوطات القبطية والعربية، وسبر أغوارها ومعرفة ما تحتويه من كنوز ثمينة. إلى جانب ذلك، ورغم ظروفه ومثابرته على تعليم أبنائه إلا أنه كان مُضيفًا للغرباء، وكريمًا وسخيًا في العطاء دون أن ينتظر، ولا أنسى قط سعيه للمشاركة الفعالة في مناسبات عدة للكثيرين، ولم يدَّخر وقتًا إلا واستثمره في التعلُّم والتعليم والشرح والنقاشات اللاهوتية.

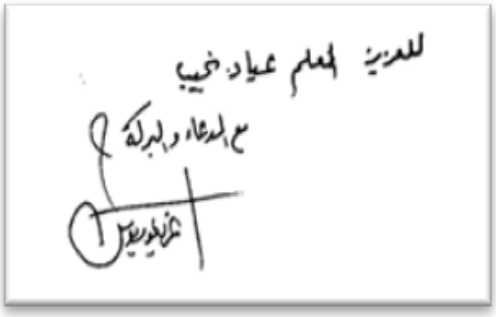

كانت تربطه علاقات وطيدة بآباء عصره وخاصة الكُتاب منهم: الأنبا إغريغوريوس الذي كان يعتبره أستاذه وأبوه الأول، وكثيرون من الآباء والكُتاب منهم القس صموئيل وهبة، والدكتور نصحي عبد الشهيد، والدكتور أشرف إسكندر صادق، وغيرهم، ونجد ذلك واضحًا من الإهداءات من بعض مؤلفاتهم، ولقد أقتنى مكتبة تضم كثير من الكتب اللاهوتية والآبائية، والمعارف العامة، قامت أسرته المباركة بإهداءها إلى الكلية الإكليريكي٣اط٩--+١١ية بالدير المحرق مرابه الأول والتي وصل مجموعها إلى قرابة الألفين كتاب، وكانت مكتبته تضم بعض المخطوطات العربية والقبطية وبعض صور المخطوطات. منها: مخطوط تفسير المزامير للقديس أثناسيوس الرسولي، ونسخة مصورة من مخطوط يضم كتابات يحي بن عدي [والجدير بالذكر أنه المخطوط الذي تم تقديم ثلاثة أبحاث منه في مؤتمر أصدقاء التراث العربي المسيحي المنعقد بجمعية الآثار القبطية في فبراير ٢٠٢٠م]، وكتاب الإيضاح للأنبا ساويرس بن المقفع، وقطمارس عربي، وكتاب لحونات وذكصولوجيات، وكتاب إبصاليات للأعياد. تم عمل فهرس لهذه المخطوطات سينشر لاحقًا.

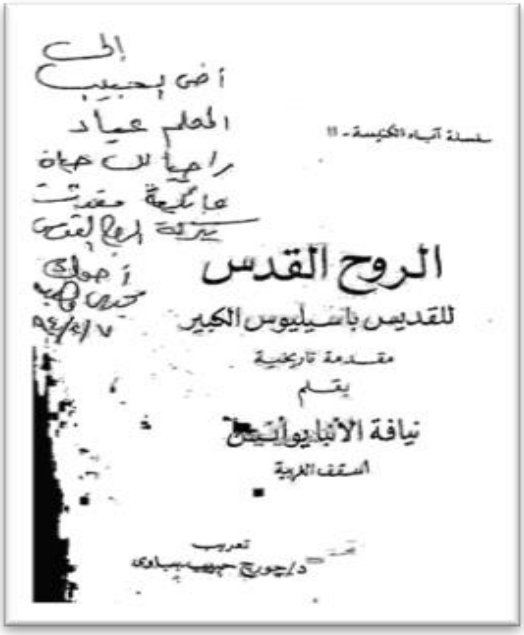

أما عن كتبه المنشورة فهما كتاب شرح قانون الإيمان الأرثوذكسي، وبحثه عن لاهوت و أقنومية الروح القدس وعمله في المؤمنين، أما عن أسرته المباركة والتي تسير على دربه في خدمة الكنيسة لم تدخر وسعًا في العمل على تقديم العون لكل أحد، وكما ذكرنا سلفًا إعطاؤهم المكتبة للكلية الإكليريكية وتسليمها للأب أرساني المحرقي المشرف على الكلية الإكليريكية بتاريخ ٩ ديسمبر٢٠٢٢م.

من مقار الكرسي المرقسي (١):

كنيسة السيدة العذراء الشهيرة بالمُعلَّقة

تُعد كنيسة السيدة العذراء بمصر القديمة المعروفة بالكنيسة المُعلَّقة أول مقر للكرسي المرقسي في مدينة القاهرة بعد انتقاله إليها من الإسكندرية في عهد البابا خريستوذولس (١٠٤٠ – ١٠٧٧م) البابا السادس والستون من باباوات الكرازة المرقسية، وذلك في عام ١٠٤٧م بعد بداية الحكم الفاطمي في مصر وتأسيس مدينة القاهرة في عهد القائد جوهر الصقلي وظل الكرسي المرقسي بها حتى القرن الثالث عشر.

وهي تعتبر أحد أشهر وأقدم الآثار القبطية في مصر، حيث تمتاز بالطراز المعماري النادر الذي يجعلها واحدة من أجمل الكنائس في القطر المصري وربما في العالم كله، ويرجع سبب تسميتها **"الكنيسة المُعلَّقة"** لبنائها على برجين من الأبراج القديمة من أبراج الحصن الروماني المعروف "بحصن بابليون"، ذلك الحصن الذي تم بناؤه في عهد الإمبراطور تراجان في القرن الثاني الميلادي، كما تم بناء الكنيسة على ارتفاع ١٣ مترًا من سطح الأرض وعلى مساحة ٢٣ مترًا طول و١٨,٥ متر عرض و٩,٥ أمتار ارتفاع، والكنيسة تم بناؤها في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي.

الكنيسة مستطيلة الشكل، وتمتاز بالطراز البازيليكي المكون من ثلاثة هياكل وثلاث أجنحة خارجية على ثلاثة أجزاء، وهما الصحن الرئيسي وجناحان صغيران ومن بينها ٨ أعمدة على كل جانب من الكنيسة. كما يوجد بالكنيسة ثلاث هياكل من الجهة الشرقية، يحمل الهيكل الأوسط اسم "القديسة مريم العذراء"، أما الهيكل الأيمن فيحمل اسم "القديس يوحنا المعمدان"، والهيكل الأيسر يحمل اسم "القديس ماري جرجس"، أمام هذه الهياكل، يوجد حامل الأيقونات المصنوع من الأبنوس المُطعم بالعاج الشفاف، ويرجع إلى القرن الثاني عشر أو الثالث عشر، ونُقش عليه بأشكال هندسية وصلبان جميلة للغاية، وتعلوه أيقونات تصور السيد المسيح الجالس على العرش، وعن يمينه السيدة العذراء مريم والملاك غبريال والقديس بطرس الرسول، وعلى يساره يوحنا المعمدان والملاك ميخائيل والقديس بولس الرسول، وبأعلى المذبح بداخل هذا الهيكل توجد قبة خشبية مرتكزة على أربعة أعمدة بالإضافة إلى ذلك تتميز الكنيسة بمجموعة من تيجان الأعمدة التي تمتاز بالطراز الكورنثوسي الشائع في اليونان القديمة. كما تشتهر الكنيسة المعلقة بأيقوناتها الرائعة الموزعة على جدرانها والتي تبلغ ٩٠ أيقونة. كما يميزها الأنبل الشهير بألوانه الرائعة.

كنيسة السيدة العذراء الشهيرة بالمعلقة